كتاب الدارة

الكتاب السابع والعشرون

عبدالله بن داود الزبيري وكتابه الصواعق والرعود في الرد على ابن سعود

دراسة عقدية نقدية

د. حمدان بن إبراهيم الأحيدان

الكتاب السابع والعشرون

إصدارات الدارة - ٣٩٦

ⓒ دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٤١هـ/٢٠١٩م
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الرديعان ،حسان إبراهيم

عبدالله بن داود الزبيري وكتابه الصواعق والرعود في الرد على ابن سعود. / حسان إبراهيم الرديعان.

- الرياض ، ١٤٤١هـ

١٠٨ ص؛ ١٤×٢١ سم

ردمك: ٢-٠٩-٨٢٩١-٦٠٣-٩٧٨

١- محمد بن عبدالوهاب بن سليمان ، ١١١٥-١٢٠٦هـ
٢- الدعوة السلفية - دفع مطاعن - السعودية
٣- السعودية - تاريخ - الدولة الأولى أ. العنوان

ديوي٢,٢١٧ ١٤٤١/٢٥٨٤

رقم الإيداع: ١٤٤١/٢٥٨٤

ردمك: ٢-٠٩-٨٢٩١-٦٠٣-٩٧٨

حقوق الطبع والنشر محفوظة لدارة الملك عبدالعزيز ، ولا يجوز طبع أي جزء من الكتاب أو نقله على أية هيئة دون موافقة كتابية من الناشر إلا في حالات الاقتباس المحدودة بغرض الدراسة مع وجوب ذكر المصدر.

بسم الله الرحمن الرحيم

الكتاب السابع والعشرون

كتاب الدارة:

سلسلة دورية تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز لموضوعات الكتب القصيرة في مجالات التاريخ والآداب.

الإسهامات

ترسل البحوث باسم رئيس التحرير

ص.ب: ٢٩٤٥ ـ الرياض ١١٤٦١ ـ المملكة العربية السعودية: هاتف: ٤٠١١٩٩٩

فاكس: ٤٠١٣٥٩٧ ـ بريد إلكتروني: info@darah.org.sa

الشراء

ترسل طلبات شراء كتب الدارة بشيك مصدّق باسم دارة الملك عبدالعزيز على العنوان الآتي: ص.ب: ٢٩٤٥ ـ الرياض ١١٤٦١ ـ المملكة العربية السعودية

هاتف: ٤٠١١٩٩٩ تحويلة ٢١٤٢ ـ فاكس: ٤٠١٣٥٩٧

بريد إلكتروني: info@darah.org.sa

شركات التوزيع

السعودية: مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان ـ ص.ب: ١٤٠٥ الرياض: ١١٤٣١

هاتف: ٤٠٢٢٥٦٤

مكتبة العبيكان ـ ص.ب: ٦٢٨٠٧ الرياض: ١١٥٩٥ هاتف: ٤٦٥٤٤٢٤ ـ ٤١٦٠٠١٨

المحتويات

تقديم ٧
مقدمة ١١
أولاً: عبدالله بن داود: ترجمته، والحالة العلمية في زمنه ١٥
الحالة العلمية في زمن الشيخ عبدالله بن داود ٢٠
ثانياً: التعريف العام بكتاب الصواعق والرعود ٢٥
صور من مخطوط الصواعق والرعود لمؤلفه عبدالله بن داود ٢٩
قيمة كتاب الصواعق والرعود عند المخالفين لدعوة الشيخ ٣٣
تقاريظ العلماء على الكتاب ٣٧
أولاً: مقدمة محمد بن فيروز ٣٨
ثانياً: مقدمة محمد بن أحمد بن عبداللطيف ٤١
منهج ابن داود في كتابه الصواعق والرعود ٤٣
ثالثاً: نقد الشبهات والأحكام والأوصاف التي جاءت في الكتاب ... ٤٦
القسم الأول: المسائل المتعلقة بالشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله .. ٤٨
القسم الثاني: المسائل المتعلقة بالدعوة الإصلاحية ومنهجها ٦٣
القسم الثالث: المسائل التي ادَّعى فيها مفارقة الشيخ محمد الشيخين
ابن تيمية وابن القيم ٧٣
القسم الرابع: ردُّ ابن داود على رسالة الإمام عبدالعزيز بن محمد
بن سعود ٨١
الخاتمة ٩١
قائمة المراجع ٩٥
الكشاف العام ١٠١

تقديم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن قيام الدولة السعودية كان حدثاً فريداً ونقلة هائلة، تحولت به الجزيرة العربية من تشتت الصف واختلاف الكلمة والبعد عن منابع الدين الإسلامي النقية، إلى وحدة وطنية شاملة، وبروز كيان يبني قواعده ويستمد قيمه من الدين الإسلامي الصحيح الذي أراد الله أن ينتشر نوره من بين أفيائها الطاهرة، وأن تحتضن أرضها المباركة أطهر بقاع الأرض، وأن يتوجه إليها المسلمون في بقاع العالم بأفئدتهم محبة وتقديراً لها ولمكانتها السامية.

وقد التزم قادتها الحفاظ على هذا الدين الإسلامي الحنيف، وكان بيتهم بيت علم ودين ودعوة، وكانت لهم إسهامات في تقديم النصح والإرشاد. وكانوا يعرفون قيمة العلماء ومكانتهم، ودورهم المهم في توجيه الناس نحو سلوك الصراط المستقيم، ولذا توجهوا إليهم بالنصيحة الصادقة والدعوة المخلصة لإيمانهم اليقيني بأنهم سيكونون سبباً لهداية عامة الناس.

وقد رصدت لنا سجلات التاريخ عطاء علمياً وتوجيهاً إرشادياً متميزاً من قادة هذه البلاد وأئمتها لعلماء الأمة وقضاة

البلدان، وكانت لهم مجالس علمية، ورسائل توجيهية، وعناية فائقة بنشر الكتب القيمة، ودعم العلماء الناصحين، ونصيحة من يضل من العلماء عن سبيل الرشاد، مقدمين في ذلك أدلتهم العلمية المبنية على ما ورد صريحاً في الكتاب والسنة، داحضين حجج المخالفين وما تضمنته من مغالطات وأوهام.

ويقدم لنا هذا الكتاب الذي بين أيدينا دراسة علمية ومنهجية لكتاب (الصواعق والرعود في الرد على ابن سعود) الذي ألفه عبدالله بن داود الزبيري في مطلع القرن الثالث عشر الهجري للرد على رسالة وجهها الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود -رحمه الله - إلى العلماء والقضاة في الحرمين الشريفين خاصة، وبلادِ المسلمين عامة، وتضمنت تأكيد توحيد الألوهية والتمسك بما جاء في الكتاب والسنة، وتجنب البدع والخرافات التي أضرت بهذا الدين. وقد أوضحت هذه الدراسة أن كتاب الصواعق المكون من مقدمة وخمسة فصول قد أُلّف للنيل من الشيخ محمد بن عبدالوهاب ودعوته الإصلاحية المستمدة من العقيدة الإسلامية النقية، وقد خرج مؤلفه عن المنهج العلمي، وضَمَّنَ كتابه أكاذيب وافتراءات على الدولة السعودية والدعوة الإصلاحية، وبنى أدلته على نقول واهية لتحقيق أهداف سياسية ومآرب شخصية للنيل من هذه الدولة المباركة والدعوة الإصلاحية المتمسكة بالكتاب والسنة دون تحريف أو زيادة.

وانطلاقاً من حرص دارة الملك عبدالعزيز على نشر كل ما يخدم تاريخ الحركة العلمية في المملكة العربية السعودية، ويجلي جهود أئمتها وعلمائها في هذا المجال، ورغبة في عرض الحجج التي يتمسك بها الذين عارضوا الدعوة الإصلاحية مع أنها منبثقة من قواعد هذا الدين الحنيف لا من هوى، ولا من مذهب جديد، رأت طباعة هذا الكتاب ونشره ضمن إصدارات كتاب الدارة، مؤملين أن يكون في نشره النفع والفائدة للجميع.

دارة الملك عبدالعزيز

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

ففي أول القرن الثالث عشر الهجري أو قبله بقليل، بعث الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود[1] إلى العلماء والقضاة في الحرمين الشريفين وبلاد مصر والعراق والمغرب وغيرها من الأمصار رسالةً فيها بيان توحيد الألوهية وما أوجبه الله على العبيد من حق التوحيد، وبيان ما يناقض ذلك، وما عليه هو ومن يَتْبَعُه في بلاده من اعتقاد وإيمان، وفيها دعوة إلى العمل بالكتاب والسنة، وترك الابتداع في الدين، وغير ذلك من المسائل المتعلقة

---

(١) الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود، الإمام الثاني للدولة السعودية الأولى بعد والده الإمام محمد، كان من طلاب الشيخ محمد بن عبدالوهاب، تولى الحكم بعد وفاة والده سنة ١١٧٩هـ، وكان إماماً مشهوراً بالعدل والشجاعة، وفي عهده توسعت الدولة السعودية الأولى، توفي سنة ١٢١٨هـ. ينظر: ابن غنّام، حسين، **تاريخ نجد**، تحقيق: د. ناصر الدين الأسد، دار الشروق، بيروت، ط٣، ١٩٩٤م، ص١٢٩ . ابن بشر، عثمان بن عبدالله، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، تحقيق: عبدالرحمن آل الشيخ، دارة الملك عبدالعزيز، ط٤، ١٩٨٢م، ٩٩/١.

بتوحيد الألوهية. فكان لهذه الرسالة أثرٌ في العلماء والقضاة[١]، فقامت قائمة المخالفين من أهل الأهواء والبدع على هذه الرسالة ومرسلِها، فألَّف محمد بن محمد القادري طريقةَ الشافعي مذهباً[٢] من أهل حلب رسالة قصيرة في الرد عليها سنة ١٢١١هـ[٣].

---

(١) للإمام عبدالعزيز بن محمد عدة رسائل، منها هذه الرسالة التي أرسلها إلى جميع الأمصار، وسُمِّيت في بعض النسخ (الرسالة الدينية في معنى الإلهية)، ومن رسائله الأخرى:

١ - رسالته إلى بلاد العجم والروم في بيان دعوة الشيخ محمد، ودفع الشبه المثارة حولها.

٢ - رسالته إلى أهل المخلاف السليماني.

٣ - رسالته إلى أحمد بن علي القاسمي.

٤ - رسالته إلى أهل الخرج والأفلاج والوادي.

ينظر: ابن سعود، عبدالعزيز بن محمد، **الرسالة الدينية في معنى الإلهية**، تحقيق: عبدالله بن مسلّم، دار التوحيد، الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ، ص ١٠-١١.

(٢) لم أجد له ترجمة.

(٣) مخطوطة في ثمانية ألواح، محفوظة في جامعة الملك سعود برقم ٦٨٠٣ ف ١/١٧٨٠. ذكر مؤلفها في أولها أنه كان يحسن الظن بالشيخ محمد بن عبدالوهاب، والإمام عبدالعزيز بن محمد، حتى اطّلع على رسالة الإمام عبدالعزيز فقال ل٣/أ: «فإذا هي مشحونة بوساوس وخرافات وهمية لا يطابق أكثرها الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، بل هي إلهامات شيطانية». ولعمري أين محلُّ هذا الكلام من بلوغ أدنى درجات الصدق، ورسالةُ الإمام عبدالعزيز واضحة بيّنة الألفاظ والأدلة لمن لديه أدنى معرفة بالتوحيد؟

وممّن ردّ على هذه الرسالة[1] عبدالله بن داود الزبيري في مؤلّف سماه: الصواعق والرعود في الرد على ابن سعود، وهو مؤلَّف كبير الحجم، ذكر مؤلفه أنه بهذا الكتاب ردَّ على رسالة الإمام عبدالعزيز، وهو في أغلبه طعن على الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأتباعه ومنهجه في الدعوة، أكثر من كونه ردّاً على رسالة الإمام عبدالعزيز.

وقد كان لهذا المؤلَّف صدًى كبيرٌ بين الموافقين لابن داود في بعض البلاد، فقرَّظه بعض شيوخه، ومنهم محمد بن فيروز، وكالَ جمعٌ من أهل البدع والمخالفين في توحيد العبادة المديحَ لهذا الكتاب ومؤلفه بعد ظهوره، ومنهم من تمدحه وهو لم يره، حتى يظنّ قارئ ذلك الكلام أنَّ هذا المؤلِّف بلغ بمؤلَّفه رتبةً عالية في القيمة العلمية، والحُجَّة البيِّنة، والأسلوب الرفيع، في مقارعة ما جاءت به رسالة الإمام عبدالعزيز بن محمد من قواعد واضحة وأسس بيِّنة، فَرَاجَ هذا المديح عند أهل زمانهم، وانتشر خبر

(١) ذكر الدكتور عبدالعزيز آل عبداللطيف أن عمر بن القاسم المحجوب التونسي قد ردّ على رسالة الإمام عبدالعزيز بن محمد، والصحيح أنّه ردّ على رسالة ابنه الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد كما ردّ عليها غيره من علماء تونس والمغرب الأقصى. ينظر: ابن أبي الضياف، أحمد، **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، وزارة الثقافة، تونس، ١٩٩٩م، ٣/٦٠-٦٣؛ آل عبداللطيف، عبدالعزيز، **دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب**، مكتبة الرشد، الرياض، ط٢، ٢٠٠٨م، ص ٥٩.

الكتاب، وذاع صيته، ولا يزال يُردّده ويتناقله أتباع هؤلاء إلى اليوم، قاطعين بأنَّه من أفضل الكتب التي ردّت على منهج دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ولعلَّ طول الكتاب البالغ أكثر من خمسمئة وثمانين صفحةً وإسهاب مؤلِّفه هما اللذان جعلا له هذا الصيت الكبير بين مناوئي دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله.

لهذا كانت دراسة هذا الكتاب دراسة نقدية عقدية، تُبين قيمته العلمية والمنهجية، وتصف ما جاء به من أخبار وروايات وأحداث، وتقيِّمُ ذلك كلّه في ميزان العلم والأمانة والديانة، دون تجاوز في الحد، وتعدٍّ على الحق.

واللهَ أسأل أن يتولانا بفضله، وأن يفتح علينا من بركاته، وأن يسلك بنا طريق الحق والهداية، وأن يبعدنا عن مسالك الزيغ والغواية، إنه ولي ذلك والقادر عليه، والحمد لله رب العالمين[1].

---

(١) أودّ أن أشير إلى أن أول ردٍّ معروف على دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب من خصومه هو رد عبدالوهاب بن أحمد بن بركات الشافعي الأزهري الطندتاوي نزيل مكة، وعنوانه: ردع الضلالة وقمع الجهالة، انتهى منه في ٦ /١/١١٥٦هـ نشر هذه الرسالة سامر الطرابلسي باللغتين (العربية والإنجليزية) بعنوان: نقد مبكر لآراء الشيخ محمد بن عبدالوهاب الإصلاحية، مجلة عالم الإسلام، السلسلة الجديدة، المجلد ٤٢، العدد (٣) ٢٠٠٢م، ص ٣٧٣-٤١٥، كما أفادني بذلك أخي الباحث الدكتور/ حمد بن عبدالله العنقري سلمه الله.

أولاً: عبدالله بن داود: ترجمته، والحالة العلمية في زمنه

ترجمته:

١- **اسمه ومولده:** عبدالله بن داود النجدي ثم الزبيري، يُلقَّب بعفيف الدين[١]. قيل: ولد في الزبير، وقيل: وُلد في حَرْمة من إقليم سدير، ولعله الأقرب للصحة لنشأته العلمية على بعض شيوخ تلك البلاد.

٢- **نشأته العلمية:** قال عنه ابن حميد المكي[٢]: «ولد في الزُّبير، ونشأ بها، فقرأ القرآن وتعلّم، ثم ارتحل إلى الأحساء للأخذ عن علاَّمتها الشيخ محمد بن فيروز، فلازمه وأخذ عنه، وعن ولده الشيخ عبدالوهاب وغيرهما في الفقه والأصول والفرائض والعربية، ثم عاد إلى الزبير ودرَّس وأفتى بها»[٣].

---

(١) كذا لقّبه القادري في ردّه على رسالة الإمام التي سبقت الإشارة إليها.

(٢) محمد بن عبدالله بن علي بن حُميد المكي، وُلد في عنيزة، وطلب العلم فيها وفي مصر والشام والعراق، تولى إمامة المقام الحنبلي في مكة سنة ١٢٦٤هـ. اشتُهر بالفقه والذكاء وجودة الحفظ، من مؤلفاته (السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة)، ابتدأ به من حيث وقف ابن رجب في الذيل، توفي سنة ١٢٩٥هـ. ينظر: البسام، عبدالله بن عبدالرحمن، **علماء نجد خلال ثمانية قرون**، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ، ١٨٩/٦-٢٠٢.

(٣) ابن حميد، محمد بن عبدالله، **السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة**، تحقيق: د.عبدالرحمن العثيمين و د.بكر أبو زيد، الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ، ٦٢٠/٢.

وذكر الشيخ عثمان بن سند[١] أنَّه وُلد في بلدة حرمة من سدير، وتعلَّم فيها أول تعلّمه، وممن تعلّم منهم ابن داود من مشايخ حَرْمة الشيخ التويجري، ثم ارتحل إلى البصرة ونزلها بأهله وماله، ثم توجه إلى الديار الشامية فلقي فيها جملة من العلماء، وقرأ عليهم ومنهم الشيخ العقّاد، ثم رحل وقرأ على الشيخ محمد بن فيروز في الأحساء، ثم استقرَّ في بلدة الزبير.

وذكر الشيخ البسَّام أنَّ ابن داود رجع من الشام، وتعلم لدى ابن فيروز في البصرة، وعدَّ ممَّن تخرج على يديه في الزبير الشيخ إبراهيم بن غملاس[٢].

والشيخ التويجري الذي تعلم لديه ابن داود هو الشيخ أحمد بن محمد بن عبدالله التويجري، تولى قضاء المجمعة، وتوفي سنة

---

(١) هو عثمان بن محمد بن أحمد بن سند الوائلي نسباً، المالكي مذهباً، انتقلت أسرته إلى الكويت، فولد في جزيرة فيلكة بالكويت، طلب العلم في البصرة والزبير وبغداد ومكة والمدينة، كان مبرِّزاً في العلم، له مؤلفات عديدة منها: سبائك العسجد في أخبار أحمد نجل رزق الأسعد، ومطالع السعود في أخبار الوالي داود، وله منظومات في الفقه المالكي والمصطلح، وله منظومة الصارم القرضاب في نحر من سبَّ أكارم الأصحاب، ردّ بها على الشيعي دعبل الخزاعي، توفي في بغداد سنة ١٢٤٢هـ. ينظر: البسام، **علماء نجد**، ١٤٣/٥-١٥٥؛ الزركلي، خير الدين بن محمود، **الأعلام**، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م، ٢٠٦/٤.

(٢) البسام، **علماء نجد**، ١١٤/٤-١١٥.

١١٩٤هـ[١]، وهو ممن كان لهم موقف من دعوة الشيخ محمد ثم رجع عن ذلك، وأرسل إلى سليمان بن عبدالوهاب أخي الشيخ محمد يناصحه ويُخبره بأنه يوافق الشيخ محمداً فيما يدعو إليه[٢]. وفي هذا إشارة إلى أنَّ موقف ابن داود من دعوة الشيخ محمد قد يكون اكتسبه أول الأمر من شيخه التويجري، ومن المستبعد جدّاً ألا يكون قد اطلع على رجوع شيخه التويجري عن معاداة الدعوة.

وممن كان قريناً لابن داود عند الشيخ التويجري الشيخ محمد بن علي بن سلّوم الفرضي الشهير، ت١٢٤٦هـ[٣]، وكلاهما تعلّم لدى الشيخ محمد بن فيروز[٤] أحد أبرز خصوم الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وكلاهما تعلّم لديه في الأحساء ثم في البصرة، وكلاهما سكن الزبير وتوفي فيها.

---

(١) تنظر ترجمته في: البسام، **علماء نجد**، ١/٥٣٣-٥٣٤.

(٢) ينظر: آل الشيخ، عبداللطيف بن عبدالرحمن، **مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام ونسبه إلى تكفير أهل الإيمان والإسلام**، تحقيق: عبدالعزيز الزير آل حمد، وزارة الشؤون الإسلامية، الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ، ص ١٨٤ وتنظر: ص١٧٦-١٧٨.

(٣) تنظر ترجمته في: البسام، **علماء نجد**، ٦/٢٩٢-٣٠٣.

(٤) محمد بن عبدالله بن محمد بن فيروز التميمي الأحسائي، فقيه حنبلي، من أشد خصوم دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، له تلاميذ كثر، وممن تلمذ عنده الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وقد تأثر طلابه بعداوته للشيخ محمد، توفي في البصرة بعد أن هاجر إليها من الأحساء سنة ١٢١٦هـ. ينظر: **علماء نجد**، ٦/٢٣٦-٢٤٠، **الزركلي الأعلام**، ٦/٢٤٢.

٣- **وفاته:** ذكر ابن سند أن ابن داود تُوفي في الزبير سنة ١٢١٢هـ[١]. وأمَّا الشيخ عبدالله البسام[٢] فذكر أنه توفي فيها سنة ١٢٢٥هـ، وهو ما ذكره ابن حميد في السحب الوابلة.

٤- **مؤلفاته:**

١- الصواعق والرعود، وهو محل دراسة هذا البحث.

٢- منسك في الحج[٣].

٣- رسالة في الربا والصرف[٤].

---

(١) البصري، عثمان بن سند، **سبائك العسجد في أخبار أحمد نجل رزق الأسعد**، مطبعة البيان، بومباي، ١٣١٥هـ، ص ٧٩-٨٠.

(٢) الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بن صالح آل بسّام، ولد في عنيزة سنة ١٣٤٤هـ وتعلّم من علمائها وأشهرهم الشيخ عبدالرحمن السعدي، تولى القضاء في مكة والطائف، وتولى التدريس في المسجد الحرام إلى أن توفي، وعُيّن عضواً في هيئة كبار العلماء، وتوفي عام ١٤٢٣هـ. له مصنفات عديدة في الفقه الحنبلي وشروح كتب الأحكام، ومن أشهر كتبه كتاب **علماء نجد خلال ثمانية قرون**. تنظر مقدمة ابنه في نيل المآرب: البسام، عبدالله بن عبدالرحمن، **نيل المآرب في تهذيب شرح عمدة الطالب**، دار الميمان، الرياض، ط٢، ١٤٢٦هـ، ٢١/١-٢٢.

(٣) له نسخة في مكتبة زهير الشاويش نُسخت سنة ١٢٩٠هـ، ونسخة في مكتبة جامعة الإمام، ينظر: آل عساكر؛ راشد بن محمد، **المخطوطات النجدية في الخزانة الشاويشية**، دار درر التاج، الرياض، ط١، ١٤٣٢هـ، ص٢٤؛ المانع، خالد بن زيد، **الآثار المخطوطة لعلماء نجد**، ط١، ١٤٢٦هـ، ص١٠٩.

(٤) له نسخة في مكتبة الدكتور أحمد البسام في عنيزة. ينظر: المانع، **الآثار المخطوطة**=

٤- مؤلَّف في أحد أسئلته لشيخه عبدالوهاب بن فيروز[١].

٥- رسالة في الأنساب[٢].

ولم تذكر المصادر الأخرى أكثر من هذه المعلومات فيما وقفت عليه في ترجمته.

=**لعلماء نجد**، ص١٠٩.

(١) البسام، **علماء نجد**، ٦٢/٥.

(٢) الربيعة، سعود بن عبدالعزيز، **الحركة العلمية بين نجد والزبير خلال ثلاثة قرون**، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط١، ٢٠١١م، ص١٦٨.

الحالة العلمية في زمن الشيخ عبدالله بن داود:

كانت الحالة العلمية وقت حياة ابن داود[١] - في نهاية القرن الثاني عشر وأول القرن الثالث عشر- في بلاد نجد والأحساء قد تأثرت بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ففي عهد الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود- الذي تولى الحكم سنة ١١٧٩هـ إلى وفاته سنة ١٢١٨هـ- كان نفوذ الدولة السعودية الأولى قد توسع كثيراً، فبدأت الحملات على شرقي شبه الجزيرة العربية سنة ١١٩٨هـ، إلى أن دخلت تحت حكمها سنة ١٢٠٨هـ، وكذلك الحجاز الذي دخل تحت حكم الدولة السعودية الأولى في المحرم من سنة ١٢١٨هـ[٢]. ومع اتساع الدولة السعودية الأولى اتسعت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وكان الدعاة وطلبة العلم ينتشرون في البلاد التي تدخل تحت حكم الدولة السعودية.

وقد واجهت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب خصومة علمية شديدة في زمنه وبعد وفاته، فمنذ ظهرت دعوة الشيخ سنة

---

(١) من المرجح أنَّ ابن داود وُلد زمن الإمام محمد بن سعود (ت١١٧٩هـ)، فقد تعلَّم على الشيخ أحمد التويجري المتوفى سنة ١١٩٤هـ، فعلى أقل تقدير أدرك ابن داود العلم وطلبه في الثلث الأخير من القرن الثاني عشر إلى وفاته سنة ١٢٢٥هـ.

(٢) ينظر: العثيمين، عبدالله بن صالح، **تاريخ المملكة العربية السعودية**، الأمانة العامة للاحتفال بمرور عام على تأسيس المملكة، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ، ١٢٢/١-١٣٣.

١١٥٧هـ، ظهرت الأصوات العلمية والردود عليها، فقد «لقيَتْ معارضة شديدة من قبل بعض علماء نجد، فالمتتبع لها يلاحظ أن أكثر من عشرين عالماً أو طالب علم وقفوا ضدها في وقتٍ من الأوقات، ويأتي في مقدمة هؤلاء المعارضين عبدالله المويس من حرمة[١]، وسليمان بن سحيم من الرياض، ويُستفاد من هذه الرسائل أن معارضي الشيخ من النجديين كانوا مختلفي المواقف؛ فمنهم من عارضه واستمر في معارضته مثل المويس، ومنهم من كان يعترف في بداية الأمر بأن ما جاء به الشيخ أو بعضه حق، لكنه غيّر موقفه مع مرور الزمن مثل ابن سحيم، ومنهم أيضاً من كان متأرجحاً في تأييده ومعارضته»[٢].

كان من أشد خصوم الشيخ في نجد سليمان بن محمد بن سحيم (ت١١٨١هـ)، وهو من مشايخ الرياض وكان إماماً لقصر أميرها[٣]، فبعث الرسائل إلى علماء الحرمين والبصرة والأحساء

---

(١) عبدالله بن عيسى المويس، من خصوم دعوة الشيخ محمد، ولد في حرمة، وأخذ العلم عن علماء الشام، ومنهم السفاريني وغيره، توفي سنة ١١٧٥هـ. ينظر البسام، **علماء نجد**، ٣٦٤/٤-٣٦٩.

(٢) تنظر مقدمة الدكتور عبدالله العثيمين: **الرسائل الشخصية للشيخ محمد بن عبدالوهاب**، بحوث أسبوع الشيخ، مركز البحوث بجامعة الإمام، ١٤٠٣هـ ١٠٨/١-١٠٩.

(٣) أمير الرياض دهام بن دواس، وبيت آل سحيم، يضم عدداً من المعارضين لدعوة الشيخ محمد، منهم عبدالله بن سحيم وأحمد بن علي بن سحيم. =

وبلدان نجد لتشويه دعوة الشيخ محمد[١]. يقول ابن غنَّام: «وأشد الناس والعلماء إنكاراً عليه، وأعظم تشنيعاً وسَعياً بالشرِّ إليه هو سليمان بن سحيم وأبوه محمد، فقد اهتم في ذلك وأنجد، وجدَّ في التحريش عليه والتحريض، وأرسل بذلك إلى الأحساء والحرمين والبصرة، فلم ينل من مراده سوى الخزي والعار والحسرة، ولقد كاد وشنع وعادى وحشر علماء السوء، ونادى وكذب عليه وبهَتَ وزوَّر، فقاموا معه فوراً بالإنكار، وأفتوا للحكام والسلاطين بأن القائم بدعوة التوحيد خارجي»[٢].

ومن أقرب خصوم الشيخ أخوه سليمان بن عبدالوهاب (ت١٢٠٨هـ) الذي ألف في الرد عليه: الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية[٣].

ومن أشد خصومه في الأحساء الشيخ محمد بن عبدالرحمن

=ينظر: البسام، **علماء نجد**، ٣٨٢/٢.

(١) تنظر ترجمة ابن سحيم في: البسام، **علماء نجد**، ٣٨١/٢، وقد ذكر البسّام بصيغة التمريض أن لوالده محمد ردّاً على الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

(٢) ابن غنام، **تاريخ نجد**، ص٢١٠.

(٣) مطبوع في الهند سنة ١٣٠٦هـ، وهو الشيخ سليمان بن عبدالوهاب بن سليمان، شقيق الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وُلد في العيينة ١١٣٩هـ، وكان معتنياً بالفقه، تولى قضاء حريملاء، وكان يخالف أخاه في بعض مسائل التوحيد، وكان مخاصماً له، وقد ردّ عليه، ت ١٢٠٨هـ. ينظر: البسام، **علماء نجد**، ٣٥٠/٢.

بن عفالق (ت١١٦٤هـ)[١]، الذي بعث رسائل متعاقبة لأمير العيينة يحرِّضه على الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

وكذلك في الأحساء الشيخ محمد بن فيروز الذي ألَّف وحرَّض على الشيخ محمد بن عبدالوهاب ودعوته[٢]، وسيأتي الكلام على تقريظه كتاب الصواعق والرعود.

وغير هؤلاء كثير ممن عارضوا الشيخ في دعوته علميّاً وعمليّاً، وألَّفوا الرسائل في ذلك[٣].

ومؤلف الصواعق (عبدالله بن داود) تأثر بهذه الدعوات وعاش بين كنف خصوم الدعوة متلمذاً سامعاً لشبهاتهم، فقد كان عند الشيخ أحمد التويجري، المعارض دعوة الشيخ أول الأمر، وكانت تَردُ إلى الشيخ أحمد الرسائل من خصوم الشيخ. وتعلم ابن داود على الشيخ محمد بن فيروز -أحد أشد خصوم الشيخ

---

(١) فقيه حنبلي من علماء الأحساء، له مؤلفات في الفقه والفلك، وله رسالة: تهكّم المقلدين في مدعي تجديد الدين، في الرد على الشيخ محمد بن عبدالوهاب. ينظر: آل عبدالقادر، محمد بن عبدالله، **تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد**، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ، ٦٣٢/٢.

(٢) من مؤلفاته في الرد على الشيخ محمد (الرسالة المرضية في الرد على الوهابية)، مطبوع.

(٣) تنظر الرسالة الوافية في هذا الموضوع: آل عبداللطيف، **دعاوى المناوئين**، ص٤٦ - ٧٩.

محمد بن عبدالوهاب- وأكسبه هذا العداء الشديد الذي تجاوز به كل الحرمات بين المسلمين.

إن التجانس في الفكر والعبارة بين مقدمة ابن فيروز للصواعق وكتاب الصواعق نفسه يجعل القارئ يتيقن من أنَّ ابن داود تأثَّر بشيخه ابن فيروز تأثراً شديداً.

وممّا يدلّ على أنَّ ابن داود تأثَّر بالحالة العلمية المحيطة به وبالمشايخ المناهضين للدعوة أنَّه أفاد من ردِّ أحمد بن علي الملّا القباني البصري[١] على الشيخ محمد[٢] في كتابه «الصواعق»، وسيأتي في الدراسة كيف أنَّ ابن داود كان يُكرر ما يقوله الآخرون، ويُردِّد الشبهات نفسها، وربما أحياناً بالعبارة واللفظ نفسيهما.

---

(١) من علماء البصرة في منتصف القرن الثاني عشر الهجري، وممّن كان يراسله ابن سحيم، ويحضّه على مواجهة دعوة الشيخ محمد، له (منهج الرشاد في شرح رائية الحداد) لعبدالله بن علوي الحداد، ت١١٣٢هـ.

ينظر: الحبشي، عبدالله محمد، **جامع الشروح والحواشي**، المجمع الثقافي، أبوظبي، ٢٠٠٤م، ٩٣٩/٢؛ آل عبداللطيف **دعاوى المناوئين**، (ص ٥٥).

(٢) ستأتي الإشارة إلى ذلك، وينظر: الحداد، علوي بن أحمد، **مصباح الأنام وجلاء الظلام في ردِّ شبه البدعي النجدي التي أضلَّ بها العوام**، المطبعة العامرة، مصر، ١٣٢٥هـ، ص٧٩؛ آل عبداللطيف **ودعاوى المناوئين**، ص٥٥.

ثانياً: التعريف العام بكتاب الصواعق والرعود

عنوانه ونُسَخه:

عنوان كتاب عبدالله بن داود هو: (الصواعق والرعود)، وليست له تسمية أخرى، وكلُّ من ترجم له أو أشار إلى الكتاب سمَّاه هذه التسمية.

وأوَّل من أشار إلى هذا الكتاب ضمن المراجع الحديثة المطبوعة هو الشيخ مسعود عالم الندوي ت١٣٧٣هـ[١] - رحمه الله - في كتابه (محمد بن عبدالوهاب مُصلح مظلوم ومفترى عليه)[٢]، وسماه بهذه التسمية المشهورة (الصواعق والرعود في الرد على ابن سعود).

وكتاب الصواعق والرعود لم يُطبع بعد، فهو لا يزال مخطوطاً،

---

(١) ولد سنة ١٣٢٨هـ، من أعلام الهند وباكستان المشهورين، داعية وعالم جليل من خريجي ندوة العلماء بالهند، شارك في تأسيس الجماعة الإسلامية التي كان يرأسها أبو الأعلى المودودي. يُعدّ أول من كتب عن الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب باللغة الأردية، وبيَّن في هذا الكتاب دعوة الشيخ وأهدافها، وأنها دعوة سلفية تتخذ الكتاب والسنة منهجاً، وتتصدى للبدع والخرافات، وقد أحدث هذا الكتاب أثراً كبيراً في شبه القارة الهندية، من كتبه: تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند، الاشتراكية والإسلام، شهور في ديار العرب. توفي سنة ١٣٧٣هـ. ينظر:العقيل، عبدالله، **من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة**، دار البشر، ط٧، ١٤٢٩هـ، ص١١٢١ وما بعدها.

(٢) الندوي، مسعود عالم، **محمد بن عبدالوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه**، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط٢، ١٤١١هـ، ص٢١٥.

وليس له - فيما أعلم - إلا نسخة خطية واحدة، هي: نسخة مكتبة خدابخش في مدينة بتنة في الهند، وهي بخط نسخي جيد، مميَّز بالحمرة، نسخه علي بن عبدالرحمن بن علي في جمادى الآخرة سنة ١٢٧٠هـ.

والمخطوط كبير جدّاً يبلغ ٢٩٠ لوحةً (٥٨٠ صفحةً)، في كل صفحة تسعة عشر سطراً، وفي كل سطر اثنتا عشرة كلمةً تقريباً.

محتوى الكتاب:

يتألف كتاب الصواعق والرعود من عدة مقدمات وفصول، وهو على النحو الآتي:

أولاً: تقريظ الشيخ محمد بن فيروز والشيخ محمد آل عبداللطيف الأحسائي.

ثانياً: مقدمة المؤلف في ورقتين.

ثالثاً: خمسة فصول، عدها المؤلف مقدماتٍ قبل شرح رسالة الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود، وهي:

الفصل الأول: ما جاء في الأحاديث والآثار التي تدلّ على فتنة نجد وصاحبها (يقصد به الشيخ محمد بن عبدالوهاب)، وقد جاء هذا في المخطوط من (ل١٣ب) إلى (ل٣٢ب).

الفصل الثاني: ما جاء في سبب حدوث هذه الفتنة ومنشئها ويقصد بالفتنة دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وقد جاء هذا في المخطوط من (ل٣٢ب) إلى (ل٤٠أ).

الفصل الثالث: ما جاء في مباينة ابن عبدالوهاب لابن تيمية والرد عليه من كلامه، وقد جاء هذا في المخطوط من (ل٤٠أ) إلى (ل٥٧ب).

الفصل الرابع: ما جاء في مباينة ابن عبدالوهاب لابن قيم الجوزية والرد عليه من كلامه، وقد جاء هذا في المخطوط من (ل٥٧ب) إلى (ل٦٤ب).

الفصل الخامس: ما جاء في الرد عليه من كلام ابن مفلح الحنبلي؛ لكونه من علماء الحنابلة الكبار، ومن تلامذة ابن تيمية وابن القيم. وقد جاء هذا في المخطوط من (ل٦٤ب) إلى (ل٦٨ب).

رابعاً: الرد على رسالة الإمام عبدالعزيز بن سعود، وهي من (ل٦٨ب) إلى آخر المخطوط.

صور من مخطوط الصواعق والرعود لمؤلفه عبدالله بن داود

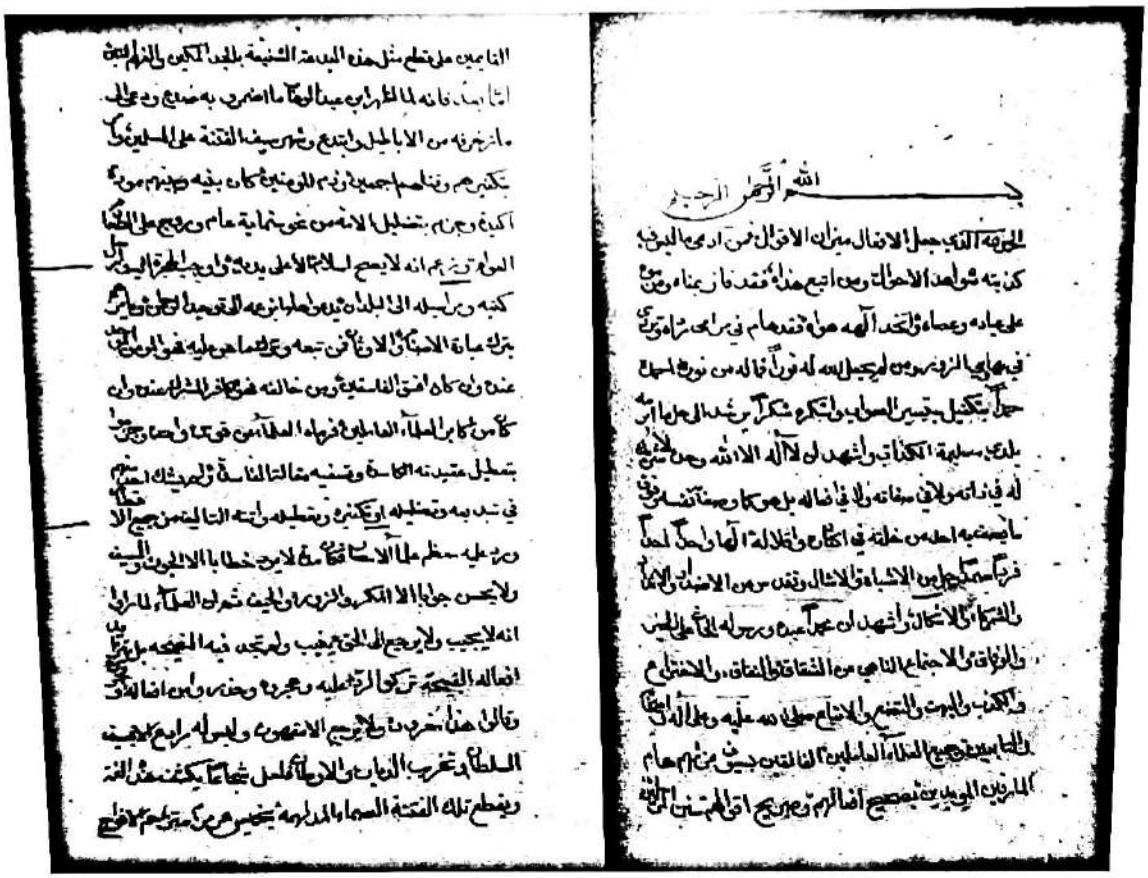

صورة أول المخطوط

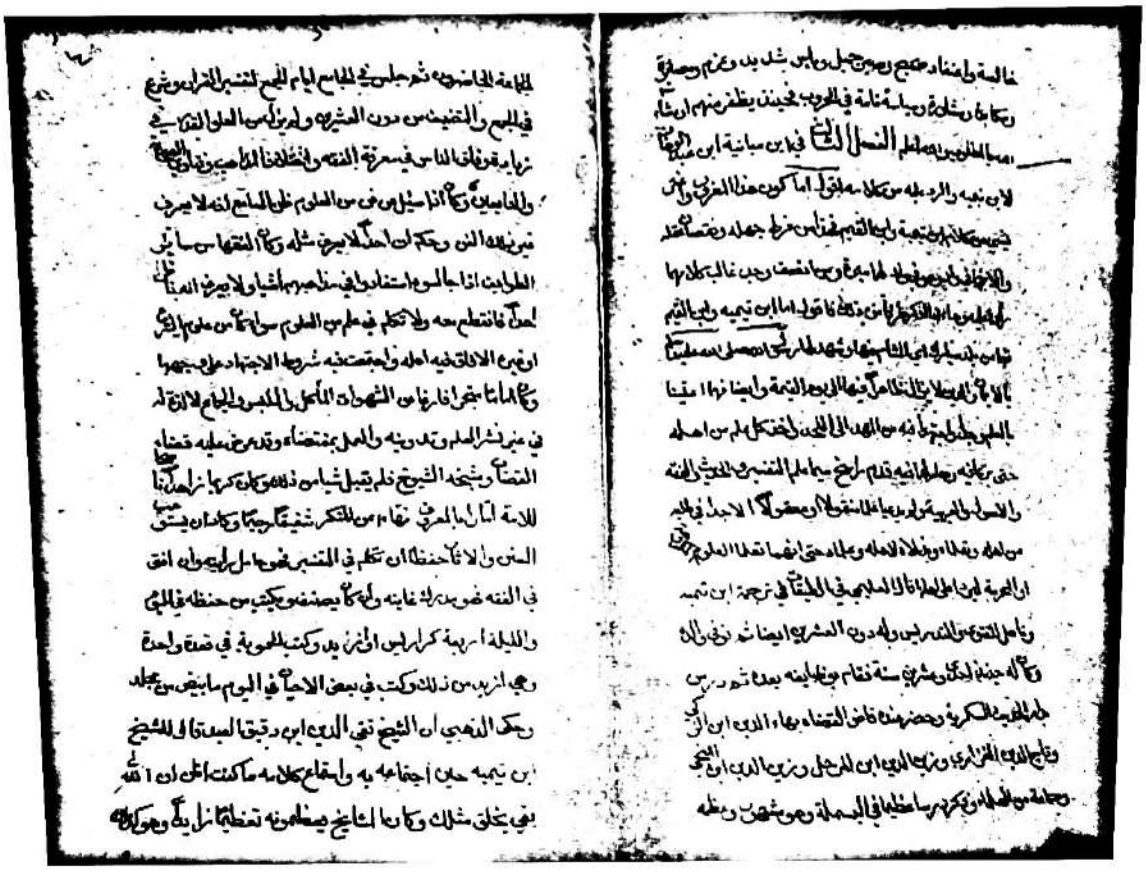

صورة لبدء الفصل الثالث من المخطوط

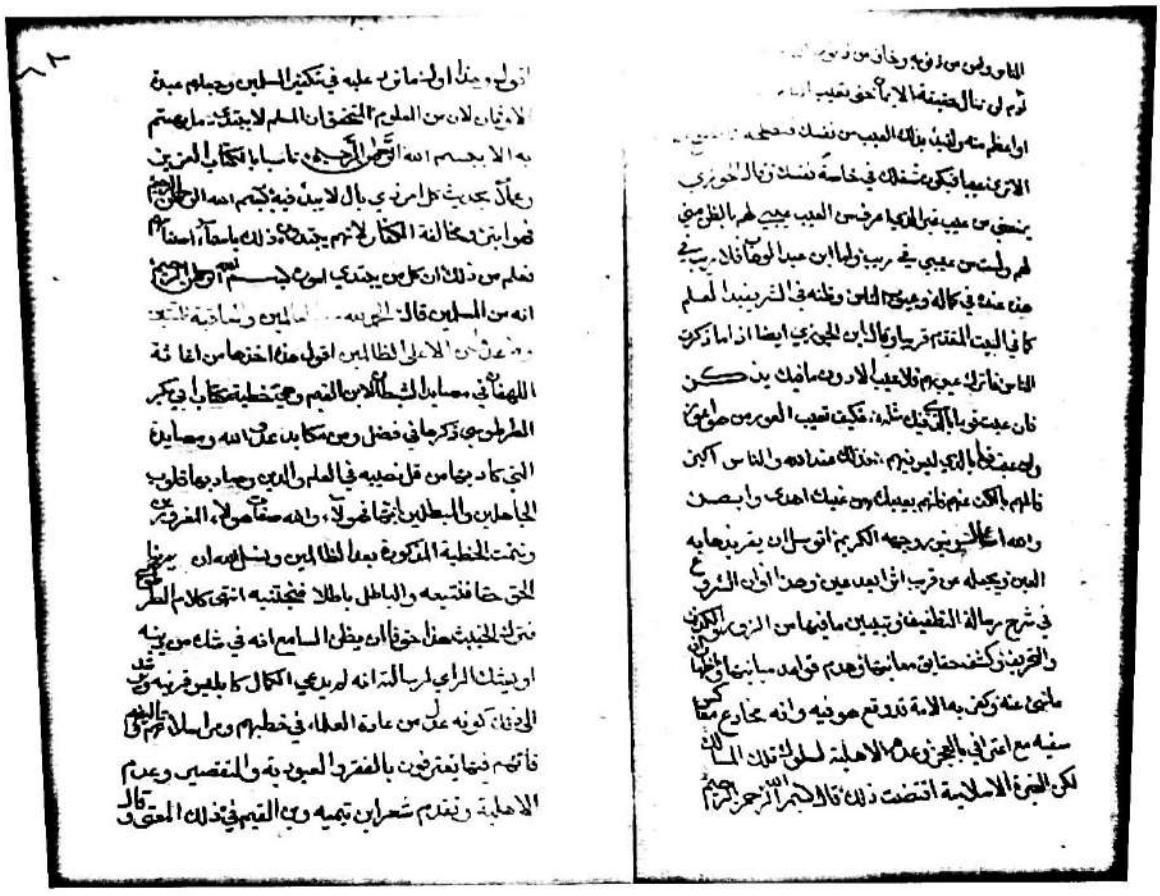

صورة لبدء ردّ المؤلف على رسالة الإمام عبدالعزيز بن محمد

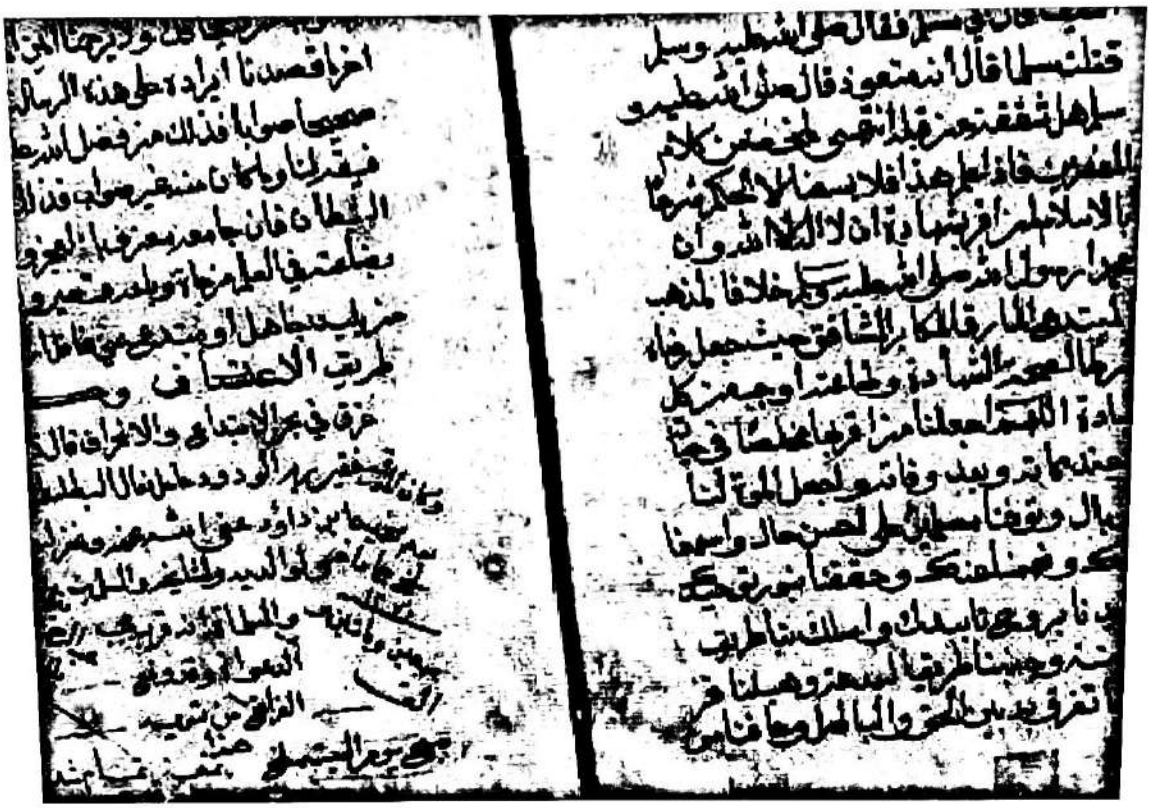

صورة آخر المخطوط، ويظهر اسم الناسخ وتاريخ النسخ

قيمة كتاب الصواعق والرعود عند المخالفين لدعوة الشيخ:

لهذا الكتاب قيمة في نفوس المخالفين لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، فقد وافق هوًى في نفوسهم، وحقَّق ما دعتْهُم إليه آراؤهم المخالفة، فألبسوه من الأوصاف ما لا يستحق وأعطوه قيمةً لا حقيقة لوجودها لمن طالع الكتاب، حتى إن أحدهم أثنى عليه وهو لم يرَه؛ ممَّا يوضِّح أنه وافق هواهم. يقول محمد القادري في ردِّه على رسالة الإمام[1] عن كتاب الصواعق والرعود: «وهو كتاب مخزون بالعجائب، ومشحون بالغرائب، عظيم النفع، جليل الشأن، واضح البرهان، لا نعرف كتاباً في هذا النمط أشرف منه وأعظم، ولا أنفس منه وأتم، من شأنه أن تكتب سطوره بالنور على خدود الحور...، ومن أراد أن يعرف دسائس الشيطان التي ألقاها إلى ابن سعود فعليه بمطالعة الصواعق والرعود، فإنه كتاب غريب في صنعه عجيب، وكان التصدي لإبطالها فرض كفاية على علماء المسلمين، لئلا يغتر بها عوام المؤمنين، ويصير الوزر عليهم أجمعين، فجزى الله حضرة الشيخ عبدالله بن داود حيث أبطلها في الصواعق والرعود أحسن الجزاء حيث رفع الوزر عنه وعنهم في دار الجزاء»[2].

وقوله: «لا نعرف كتاباً في هذا النمط أشرف منه وأعظم»

(١) سبقت الإشارة إلى هذا المخطوط في المقدمة.

(٢) ل ٢أ.

قولٌ في غاية التفضيل عنده لكتاب الصواعق على كل الرسائل والكتب التي ردّت على دعوة الشيخ محمد، وفيه إشارة بيِّنة إلى قيمة الكتاب ومقامه وشهرته. وحين يرى القارئ الكريم ما سطَّره عبدالله بن دواد من الأحاديث المكذوبة والروايات الباطلة التي اعتمدها في الجواب على المسائل التي قررها الإمام في رسالته أو الشيخ محمد بن عبدالوهاب في كتبه ورسائله، سيرى هذا الشرف الذي يتحدث عنه القادري في هذا الكتاب، ويتبين حقيقة الوزر، أهو في دسائس الإمام كما يقول أم في وساوس عبدالله بن داود وأوهامه، ناهيك عن الأسلوب اللفظي والتهم المركَّبة والحجج المنقطعة مما سيأتي الحديث عنه في مكانه.

ويقول حسن الشطِّي[1]: «وقد ألف العلامة المحقق والفهامة المدقق الشيخ عبدالله بن داود كتاباً مشهوراً مسمى بالصواعق والرعود في الرد على ابن سعود، فقد أطال في ابتداء أمره وسيرته وسيرة من بعده من خلفه، وقد انتشر هذا الكتاب واطلع عليه

---

(١) حسن بن عمر بن معروف بن عبدالله الشطّي، له مؤلفات في الفقه الحنبلي، وله قصائد وأشعار، وله مختصر شرح عقيدة السفاريني، وتذييل على رسالة محمد ناصر الحازمي اليمني في الصفات، صار مقصداً لطلاب الفقه الحنبلي، توفي بدمشق سنة ١٢٧٤ هـ. ينظر: ابن حميد، **السحب الوابلة**، ١/٣٥٩-٣٦١؛ البيطار، عبدالرزاق حسن، **حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر**، تحقيق: بهجة البيطار، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٣م، ص ٤٧٨.

الفحول وأحسنوا الثناءات على مؤلفه»[١]. ويظهر من كلام الشطِّي هذا أنَّه لم يطلع عليه، وإنما هو ينقل الثناء عليه كما سمعه من غيره تحقيقاً لما في النفوس، وليس تجرداً للحقيقة العلمية.

وقال علوي الحداد[٢]: «وقد سمعت بكتاب مبسوط في عشرين كراسةً، سمّاه الصواعق والرعود، وقد قرَّظ عليه أئمة من علماء البصرة وبغداد وحلب والأحساء وغيرهم، تأييداً لكلام مؤلفه وثناءً منهم عليه، وقد أجادوا وبيَّنوا، فلما تممنا تأليفنا هذا حصلت لنا هذه النسخة بحمد الله تعالى ووقفنا عليها جميعاً، وعلى كلام العلماء عليها»[٣]. ثم ذكر أنَّه لو وقف على كتاب الصواعق لما ألَّف كتابه مصباح الأنام، وأشار إلى أنَّه مع صغر حجم كتابه إلا أنَّ فيه ما ليس في الصواعق. وبيَّن أنه همَّش على نسخته من الصواعق ما يحتاج الأمر إلى بيان وإيضاح، وذكر أنه سيُلحق بمقدمة كتابه مما ذكره ابن داود عن النجدي البدعي - يقصد الشيخ محمداً -، وهذا يعني أنه استفاد من كتاب الصواعق، ثم قال بعد ذلك: «ومن أراد

---

(١) ينظر: آل عبداللطيف **دعاوى المناوئين**، ص ٥٧، نقلها من تذييل الشطّي على رسالتي الحازمي: رسالة في الصفات، ورسالة مشاجرة بين أهل مكة ونجد، وكلاهما مخطوط.

(٢) علوي بن أحمد بن حسن بن عبدالله بن علوي الحداد التريمي اليمني، والده وجدُّ والده من علماء اليمن، له مصباح الأنام في الرد على دعوة الشيخ محمد، توفي بدمشق سنة ١٢٣٢هـ. ينظر: الزركلي، **الأعلام**، ٢٤٩/٤.

(٣) ينظر: الحداد، **مصباح الأنام**، ص ٣-٤.

أن تقر عينه فعليه به؛ أي بكتاب الصواعق والرعود للشيخ العلامة والبحر الفهامة عفيف الدين عبدالله بن داود الزبيري، فما أظنك تجد مثله»، ثم ابتدأ بالكلام عن الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وأنَّه كان يُضمر ادّعاء النبوة! ويكفي القارئ أن يتأمّل قول الحداد: «فما أظنك تجد مثله»، والحداد قد رأى الكتاب بعينيه، وما فيه من افتراء وكذب على الشيخ لم يَنسبه له أقرب أعدائه إليه وأشدهم وهو ابن سحيم، ومن هذا مسألة إخفائه ادّعاء النبوة. فهذا حال الحداد حين يقول هذا الكلام وقد رأى الكتاب، والحداد هذا له كتاب آخر في الرد على دعوة الشيخ محمد؛ عنوانه (السيف الباتر لعنق المنكر على الأكابر).

وممن أجمل في الثناء على كتاب الصواعق والرعود ابن حميد-مؤلف السحب الوابلة-، فقال في وصفه: «مجلد حافل أجاد فيه»، ولعلَّه لم يطّلع عليه أيضاً، لكن من المعلوم موقف ابن حميد من دعوة الشيخ محمد، وشدة عدائه لها، حتى إنَّه بلغ به أنه لم يُترجم للشيخ محمد ولا لعلماء الدعوة وأئمتها في نجد[1] المعدودين في الحنابلة، مع أنه ترجم لأُناسٍ أقلَّ منهم درجةً في التمذهب الحنبلي، لكن عداءه للشيخ محمد حمله على أن يُخرجهم من مذهب الحنابلة، وهذا من تجاوز الحد في الخصومة العلمية التي لا تزال نابتتُها في عصرنا، فلو أنه أنصف وذكر

(١) تنظر: مقدمة السحب الوابلة، ١/١٣٠.

تراجمهم بجامع شرط المذهب الحنبلي، ثم قال فيهم ما يراه من خلاف عقدي لضرب ابن حميد بحظٍّ وافر من العدل والعقل، لكن هذا لم يحدث، وقد أفصح ابن حميد بهذا العمل عما في نفسه من تجاوزٍ على الشيخ محمد وأتباعه، والله المستعان.

تقاريظ العلماء على الكتاب:

قرّظ كتاب الصواعق والرعود وقدَّم له كلٌّ من الشيخ محمد بن فيروز الأحسائي الحنبلي، كتبه في ١٨ من صفر ١٢١٠هـ حينما كان في الزبارة، والشيخ محمد بن أحمد بن عبداللطيف الأحسائي الشافعي في ٧ من ربيع الأول ١٢١٠هـ. وهاتان المقدمتان مثبتتان في نسخة الكتاب الخطية، وقد ذكر علوي الحداد أنَّ الكتاب قدم له علماء من البصرة وبغداد وحلب والأحساء وغيرهم، فلعل مقدمات هؤلاء لم تُلحق بالكتاب، أو أنَّ الحداد عدَّ الثناء الوارد في الرسائل التي ردَّت على دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب هي منها، كما هي عبارة الشطّي في أنَّ العلماء أثنوا على الكتاب.

ومن المهم جدّاً الوقوف على هاتين المقدمتين في الكتاب، والنظر في ما تضمنتاه من معانٍ وقِيم تبرز قيمة أصحابها، وفهم فِكر خصوم دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وسأذكر ما فيها من تجاوزٍ وتعدٍّ؛ كي يرى القارئ الكريم بعينه ما لم نقلْهُ في حقهم تجرداً وعدلاً.

أولاً: مقدمة محمد بن فيروز

ابتدأ ابن فيروز مقدمته بعد قوله (أما بعد) ببهتان عظيم، تقشعر منه الأبدان، وتَتَجَلْجَلُ منه الأركان، وتجعل العقل حائراً في طبيعة تلك النفس، وكيف استطاعت أن تنطق ذلك، وتكتبه بقلمها؟ وهذه فريةٌ في حق الشيخ محمد بن عبدالوهاب ووالديه يذوب الحياء لمجرد رؤيتها، وهي كما يصفها ويحكيها الشيخ مسعود الندوي بقوله: «وفي بداية هذا التقريظ يُبصر القارئ العبارة التالية ولعله يذوب حياءً لمجرد رؤيتها، ولكن نَقل الكفر ليس بكفر، فاضغط على قلبك واقرأ: (**بل لعل الشيخ - يعني عبدالوهاب والد الشيخ محمد - غفل عن مواقعة أمّه - يعني أمَّ الشيخ محمد - فسبقه الشيطان إليها فكان أباً لهذا المارد...إلخ**)، إنا لله وإنا إليه راجعون، وهل يستطيع كبار المقذعين أن ينحطُّوا إلى هذا المستوى من الإقذاع»[1]. وأكتفي تجاهها بما قاله الندوي: إنا لله وإنا إليه راجعون.

ثم قال قولةً لا يقوى على قولها إلا من تجرّد من التقوى حين وصف الشيخ محمد بن عبدالوهاب بالباعث لأباطيل مسيلمة الكذاب! وهل المخالفة لمن أجاز الاستغاثة بالأموات ودعاهم من دون الله هو من دين مسيلمة الكذاب الذي ما رضي دين نبينا محمد ﷺ؟!

---

(١) الندوي، محمد بن عبدالوهاب مصلح مظلوم، ص ١٧٠-١٧١.

ثم أَتْبَعَ هذا الاتهام باتهاماتٍ أخرى، ومنها اشتغال الشيخ محمد بكتب الحكايات وقصص الخوارج وتركه كتب الأحكام واستهزائه بمن يشتغل بها!

وحَسْبُ القارئ أن يعرف أنَّ الشيخ محمداً - رحمه الله - جمع أحاديث الأحكام، ناهيك عن اختصاراته الفقهية للإنصاف والشرح الكبير وزاد المعاد، وتأليفه رسائل في آداب المشي إلى الصلاة وأحكام الطهارة، واعتنائه بتفسير القرآن الكريم، فقد فسّر آياتٍ وسوراً كثيرة من القرآن، وله رسالة في استنباط القرآن الكريم، وغير ذلك من مجموع مؤلفاته.

وذكر ابن فيروز في مقدمته أنَّ ابن داود في هذا الكتاب قد سبقه لمَّا أراد الردَّ على رسالة الإمام عبدالعزيز بهذا الكتاب[1]، وكالَ له عبارات المديح والتبجيل والتفخيم.

وفي المقدمة من الألفاظ النابية والأسلوب الذي يحتار فيه العاقل حين يسمع ويقرأ مَن يصف ابن فيروز بالعالم أو الفقيه[2]!

---

(١) لعله يقصد ردَّه: الرسالة المرضية في الرد على الوهابية.

(٢) سبق التنبيه على أنَّ ابن فيروز كتب هذه المقدمة وهو في زيارة قطر التي ذهب إليها من الأحساء بعد أن دخلت تحت حكم الدولة السعودية الأولى عام ١٢٠٨هـ، وهذا يعطينا بُعداً نفسيّاً لابن فيروز حين كتب هذه المقدمة وهو بعيد عن موطنه. ولكن عداء ابن فيروز للدعوة لم يكن وليد هذا الأمر، أو أنه ردّة فعل لدخول الأحساء تحت الحكم السعودي، بل كان عداؤه مستحكماً قبل هذا وبعده، أما قبل هذا فمعلوم في ترجمته وما سبقت الإشارة إليه، وأمَّا بعده فقد=

ولك أن تقارن بين هذا الوصف الذي وصف به ابنُ فيروز الشيخَ محمد بن عبدالوهاب ووصف الشيخ محمد بن عبدالوهاب لابن فيروز حين استنكر عليه تأييده بعض مسائل الشرك، بأنه أقرب إلى التمسك بأحكام الإسلام من بقية المخالفين له ومن الحنابلة، وممن ينتحل كلام ابن تيمية وابن القيم، والله المستعان[1].

كتب ذلك ابن فيروز في ١٨ من صفر ١٢١٠هـ حينما كان في الزبارة في قطر.

=حاول استمالة الولاة العثمانيين ورئيس المنتفق على قتال الجيوش السعودية، في حين أنَّ ابن فيروز لما دخلت الجيوش السعودية الأحساء أَمِنَ أهلها، ولم يهرب هو منها لعلمه أن الجيوش السعودية لا تقتل العلماء، وما أخرجه منها إلا أمْرُ الإمام عبدالعزيز بن محمد لوالي الأحساء براك بن عبدالمحسن بسبب إثارته الفتن هو ومن معه. ينظر: البسام، **عنوان المجد**، ٢/٢٠٦-٢١٨.

(١) ينظر: **الدرر السنية في الأجوبة النجدية**، جمع عبدالرحمن بن قاسم، ط٦ ١٤١٧هـ، ١٠/٧٨.

ثانياً: مقدمة محمد بن أحمد بن عبداللطيف[1]

ابتدأ المقدمة بالثناء البالغ على شيخه محمد بن عبدالله بن فيروز الذي طلب منه أن يكتب هذا التقريظ على الصواعق والرعود، ولقد كان تقريظه أطول من تقريظ شيخه ابن فيروز.

أثنى ابن عبداللطيف على الصواعق ووصفه بأنه شَرَح الصدور، وقال: «فرأيته شرحاً كشف عوار رسالة هذا الداعية الكذاب الكنود، المرهق المكلّف - إن شاء الله تعالى - صعوداً، المسمى بعبدالعزيز بن سعود، لا أسعده الله تعالى ولا ساعده، وقطع نبته ودابره وساعِده»، ثم أعقبه بالدعاء على الشيخ محمد بن عبدالوهاب الذي ضلَّل العوام كما يقول الذين لا يُحسنون التفريق بين النور والظلام ولا بين الليالي والأيام، إلى أن أباح دمه ودم أتباعه، فقال: «**وإن ربقة الإسلام من أعناقهم أجمعين محلولة، وإنَّ دماءهم إن لم يرجعوا عن بدعتهم مطلولة، وإن نهب أموالهم وسبي نسائهم وأطفالهم من الإباحة والحل بمكانٍ إن أصرّوا على الحكم بالتكفير لمن لا يعرفون**»، وحسبك من هذا الكلام أنه وقع في أشد

---

(١) هو محمد بن أحمد بن عبدالرحمن بن محمد بن عبداللطيف الأحسائي الشافعي، من مؤلفاته: منظومة في التجويد، سيرة المصطفى ﷺ، مورد النفحة العنبرية أشعار في مدح المصطفى ﷺ، توفي عائداً من طريق الحج في عُمان سنة ١٢٢١هـ. ينظر: البصري، **سبائك العسجد**، ص٤٤؛ آل عبدالقادر، **تحفة المستفيد**، ٥٨٨/٢.

مما وصف به الشيخ محمداً لو صحّ؛ من تكفير واستحلالٍ لدمه ودم أتباعه، وأنَّ نساءهم وأطفالهم مسبية، ونهب أموالهم مباح؟! وكيف يريد أن يصون ابن عبداللطيف الأحسائي ما عليه العوام من دين ويدافع عن إسلامهم، وهم عنده لا يُفرقون بين الليل والنهار؟!

ومن افتراء ابن عبداللطيف على الشيخ محمد في هذا التقريظ قوله: «**بل قد وقفت بنفسي على بعض رسائل لابن عبدالوهاب تقتضي الحكم منه بالإفناء للجسد النبوي بعد موته والأذهان، وتدل بل تصرح بانتفاء من مطهر ذلك الجناب الشريف والثلب لذلك المقام الرفيع والقدر المنيف**»! وهذه الفرية التي سطَّرها الأحسائي ليست إلا تقليداً لمن ألقى إليهم سمعه وبصره، وقلَّدهم حتى في الافتراء كابن سحيم[1]. والشيخ محمد بن عبدالوهاب لا يقول بفناء جسده ﷺ ولم يسطر هذا في كتبه، بل يرى أن الموت حق في الأنبياء، واستدل في هذه المسألة بقوله ﷺ: «إن الله حرَّمَ على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء» في مؤلفه: مجموعة الأحاديث[2].

ثم أخذ يُثني ابن عبدالطيف على المؤلف بالثناء والسجع

---

(١) سليمان بن سحيم هو أول من افترى على الشيخ محمد بن عبدالوهاب أنه ينتقص جناب النبي ﷺ لأنَّ الشيخ محمداً - كما يحكي - أحرق دلائل الخيرات، وهو كتاب للجزولي الشاذلي الصوفي ت٨٥٤هـ مليء بالخرافات في حق النبي ﷺ، وقد سبق القبانيُّ ابنَ عبداللطيف الأحسائي في تقليد ابن سحيم في هذه الفرية. ينظر: آل عبداللطيف **دعاوى المناوئين** ص١٢٣.

(٢) أنظر: مجموع مؤلفات الشيخ - قسم الحديث (١٦٤/٢).

المتكلف، وأعاد في ورقتين الثناء على شيخه ابن فيروز، ثناءً لا تكاد تراه إلا في حق شيوخ الإسلام وأئمته الأعلام.

وفي ختام تقريظه قال في سؤاله الله تعالى: «أن يطهِّر الأرض من أرجاس هؤلاء الطواغيت الفجرة الطَّغام، **فإنهم والله أضرّ على أهل التوحيد من عبدة الأوثان والأصنام...**، قال جميع ذلك...، محمد بن أحمد بن عبدالرحمن بن محمد بن عبداللطيف الشافعي الأشعري الأحسائي».

كتب ذلك ابن عبداللطيف في ٧ من ربيع الأول ١٢١٠هـ.

منهج ابن داود في كتابه الصواعق والرعود

بعد قراءة فصول هذا الكتاب ومباحثه، يتبين غياب المنهجية العلمية المطردة في هذا الكتاب، ويمكن بيان ملامح منهج ابن داود في كتابه في النقاط الآتية:

أولاً: هذا الكتاب ردٌّ على دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ومبادئها التي جدَّد بها الشيخ محمد المسائل المتعلقة بتوحيد العبادة، وليس ردّاً على رسالة الإمام عبدالعزيز فقط. لهذا لا تخلو صفحة من الكتاب من ذكر الشيخ محمد، سوى الصفحات الطويلة التي ينقل منها نقولات العلماء.

ثانياً: أطال ابن داود النفَس والنقْلَ في نقد المسائل التي يرى الخلاف فيها مع دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، حتى إنه من

طول النقل وكثرته يخرج بالنقاش من المسألة التي فيها الخلاف إلى مسائل لا خلاف فيها، وسيأتي بيان ذلك. ومن اللافت حجم الكتاب الكبير الذي يبلغ خمسمئة وثمانين صفحة مقارنةً بحجم رسالة الإمام عبدالعزيز، ولكن إذا علم القارئ أن ابن داود يُطيل النقول في المسألة الواحدة دون ذكر الشاهد وتحرير محل النزاع فسيعلم حينها كيف بلغ الكتاب هذا الحجم الكبير، فتجده في مسألة شدِّ الرحال إلى القبور وزيارتها، وبيان جواز ذلك نقل نقولات طويلةً بلغت ست صفحات وتزيد من غير أن يُعلق عليها، وكذلك في مسألة تعريف الكبيرة، وهكذا حتى أصبح الكتاب جلُّه نقولات، تبلغ في تقديري نصف الكتاب أو تزيد.

ثالثاً: بين كل نقل ونقل يُسقط ابن داود المخالفة على دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، مع كيل الألفاظ المشحونة الشنيعة في حقه وحق من يؤيده. فبعد انتهاء النقل يأتي بعبارات إجمالية: وهذه هي حقيقة دعوة ابن عبدالوهاب وقريب من هذه الألفاظ.

رابعاً: أكثر ما يَنقل عن الشيخ محمد بن عبدالوهاب حين ينقل هو قوله: بلغنا، ونُقل لنا، وحُكي أنه يقول بكذا، لهذا تجده ينسب للشيخ محمد كثيراً من المفتريات التي تجد ما يُضادُّها وينقضها من صميم كلام الشيخ محمد واضحة. فمن المفتريات مثلاً قوله (ل٢٥٩أ): «وقد نُقل لنا عن محمد بن عبدالوهاب أنه قال: استخرجت من قصة الحديبية في البخاري سبعاً وعشرين

كذبةً»، وحسبُك بهذه الفرية فريةً.

خامساً: يعتمد ابن داود على كثيرٍ من الأحاديث الضعيفة والروايات الباطلة، وسيأتي بيان ذلك. ويظهر من صنيعه في هذا الكتاب أنه لا يعتمد تصحيح أهل العلم وتضعيفهم، وهذا يدل على أنه لا عناية له بالحديث.

سادساً: تتضارب أقوال ابن داود ونقولاته في أكثر من مسألةٍ، فمرة لا يعد توحيد العبادة هو التوحيد الذي بعثت من أجله الرسل، ومرة خلاف ذلك، ومرة لا يعد الكفر العملي مُخرجاً من الملة، ومرة خلاف ذلك، وسيأتي بيان ذلك.

سابعاً: استعمل ابن داود في طريقة نقده دعوة الشيخ أسلوب إطلاق الألفاظ والأوصاف الشنيعة والبذيئة على الشيخ محمد ومن كان معه، فأطلق عليه ألقاب: الطاغية، مسيلمة الصغير، طاغية نجد، الخارجي، الأفاك، ونحوها من الألفاظ. وقال في حق الإمام عبدالعزيز: المارق، الطاغية، واستعمل ألفاظاً مشابهة لوصف مؤيدي الدعوة الإصلاحية التي قام بها الشيخ فيصفهم بأنهم: الخوارج الكلاب، المارقون، ونحو ذلك.

ثامناً: يحكي ابن داود من القصص التي اختلقها عن بعض المحسوبين على رجال الدولة السعودية الأولى من المعيَّنين في الأقاليم والبوادي والقرى، الذين لا شأن لهم بالدعوة وتبليغ الدين، فضلاً عن أن يكونوا مُستنداً لرأي الشيخ محمدٍ في منعه

الاستغاثة بغير الله ونحوها من المسائل التي هي موضع النزاع، ثم يؤاخِذُ ابن داود بأفعالهم وأقوالهم الشيخ محمداً ودعوته.

ثالثاً: نقد الشبهات والأحكام والأوصاف التي جاءت في الكتاب

منهج النقد:

سأتناول هنا - إن شاء الله - ما جاء في كتاب الصواعق والرعود من مسائل عامة تكلم بها المؤلف في الكتاب من شبهات وأوصافٍ وأحكامٍ أطلقها المؤلف تجاه دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب أو تجاه شخصه أو أحدٍ من أتباعه، وجمع ما تفرَّق من كلامه تحت مسألة واحدة، والاكتفاء أحياناً بالإشارة إلى مواضع ذكرها في الكتاب.

وسأكتفي بالجواب الواضح والنقل البيِّن من كلام الشيخ محمد رحمه الله، ولن أعدل إلى كلام غيره إلا إذا كان هناك مزيد بيان وتفصيل ومعنًى.

ولأنَّ الكتاب لا تخلو صفحة من صفحاته من شبهةٍ عامةٍ أو خاصةٍ، إضافةً إلى ما فيه من الافتراءات التي يطول تتبُّعها ونقدها، فقد جمعت ما يستحقُّ أن يناقش ويُدرس في الكتاب وقسَّمته إلى أربعة أقسام:

قسم متعلق بالشيخ محمد بن عبدالوهاب في شخصه أو في تقريراته وطريقته العلمية.

قسم متعلق بالدعوة التي سار عليها الشيخ وقامت عليها الدولة السعودية الأولى، وهي الدعوة الإصلاحية.

قسم متعلق بالمسائل التي زعم أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب باين فيها شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم .

قسم متعلق بالرسالة التي كتبها الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود التي هي أصل تأليف ابن داود كتابه.

وحاولتُ أن ألحق ما تفرَّق في الكتاب ممَّا يستحق أن يُدرس ويناقش ويُجاب عنه تحت هذه المطالب؛ وجمعاً للمادة العلمية، وخشية التكرار والإطالة.

وقد أثبتُّ العزو إلى المخطوط في المتن نفسه وقبل النص تخفيفاً للحواشي.

القسم الأول: المسائل المتعلقة بالشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله

المسألة الأولى: اتهام الشيخ محمد بتكفير الأمّة وتضليلها منذ ستمئة سنة

قال ابن داود في (ل١٢ب) في أول سطر للكتاب بعد قوله أما بعد: «**فإنه لمَّا أظهر ابن عبدالوهاب ما أضمر وبه صدع، ودعا إلى ما زخرفه من الأباطيل وابتدع، وشهر سيف الفتنة على المسلمين، وأمر بتكفيرهم وقتلهم أجمعين...، وجزم بتضليل الأمة من نحو ستمئة عامٍ**».

يُقلِّد ابنُ داود في هذا الاتهام من سبقه، ومنهم ابن عفالق وابن سحيم وأحمد القباني الذين اتهموا الشيخ بأنه يُكفِّر الأمة ويُضلِّلها. يقول ابن سحيم في رسالته التي بعثها إلى علماء الأمصار: «ومنها أنه ثبت أنه يقول: «الناس من ستمئة سنةٍ ليسوا على شيءٍ»[(١)]. ويقول القباني عن الشيخ محمد: «كفّر هذه الأمة بأسرها، وكفَّر كلَّ من لم يقل بضلالتها وكُفْرِها»، ويقول مستهزئاً: «وجاء النبي الكريم - يعني الشيخ محمداً - وليس معه من أمته إلا النفر اليسير من أهل العيينة، وأما الباقون فكلهم مخلدون في النار مع الكفار، مع ما لهم من كثرة الطاعات وأنواع العبادات»[(٢)].

---

(١) أوردها القباني في فصل الخطاب في ردِّ ضلالات ابن عبدالوهاب، الذي أجاب فيه عن رسالة ابن سحيم. ينظر: آل عبداللطيف، **دعاوى المناوئين** ص٢١٣.

(٢) آل عبداللطيف، ص٢١٢.

وهذه التهمة في حق الشيخ محمد - رحمه الله - لم تقف عند ابن داود وأهل زمانه، وإنما أخذ أعداء الدعوة يتناقلونها جيلاً بعد جيل إلى يومنا هذا[١]، دون أن يُجيبوا عن كلام الشيخ وإبطاله لها بجوابٍ.

وقد قِيلت هذه الفرية عن الشيخ في زمانه، وافتُريت عليه في حياته، وأجاب عنها وتبرَّأ منها، يقول الشيخ محمد بن عبدالوهاب في جوابه عن هذه الفرية: «ولكن من أظهر الإسلام وظننَّا أنه أتى بناقض **لا نكفره بالظن؛ لأن اليقين لا يرفعه الظن**، وكذلك لا نكفر من لا نعرف منه الكفر بسبب ناقضٍ ذُكر عنه، ونحن لم نتحققه، وما قررتم هو الصواب الذي يجب على كل مسلم اعتقاده والتزامه...»، إلى أن قال: «وأما ما ذكر الأعداء عني، **أني أُكَفِّر بالظن وبالموالاة، أو أكفّر الجاهل الذي لم تقم عليه الحجة، فهذا بهتان عظيم**، يريدون به تنفير الناس عن دين الله ورسوله»[٢].

وقد ردَّ الشيخ - رحمه الله - على فرية ابن سحيم بوجه خاص فقال: (ثم لا يخفى عليكم أنه بلغني **أن رسالة سليمان بن سحيم** قد وصلت إليكم، وأنه قبلها وصدقها بعض المنتمين للعلم في جهتكم، **والله يعلم أن الرجل افترى عليَّ أموراً لم أقلها، ولم يأت أكثرها على بالي، فمنها قوله: إني مبطل كتب المذاهب الأربعة:**

---

(١) ينظر تفصيل ذلك في: آل عبداللطيف، **دعاوى المناوئين**، ص ١١٢-٢١٩.

(٢) **الدرر السنية**، ١١١/١٠-١١٢.

وإني أقول: إن الناس من ستمئة سنة ليسوا على شيء»[١].

فإن كان الشيخ محمد ينفي عن نفسه التكفير بالظنّ وأنَّه ما يُكفِّر إلا بيقين، فكيف يُتصوّر إذن أنَّ الشيخ محمداً تيقّن من وقوع الأمّة كلها في الكفر والعقل يستحيل وقوع ذلك؟ ولكن سهولة رمي الشيخ بهذه التهمة التي فيها تنفير الناس من الدعوة إلى الإخلاص في مسائل العبادة ونبذ الوسائط من دون الله، وما تجده القلوب من نُفرةٍ في إطلاق التكفير هو الذي جعل لهذه الفرية رواجاً بين المخالفين للدعوة الإصلاحية.

ولعظم هذه الفرية، أرسل إسماعيل الجراعي - من علماء اليمن[٢]- إلى الشيخ محمد يسأله عنها، حتى قال الجراعي: «وأما قول من لا أصدق: أنك تكفر بالعموم، ولا تبغي الصالحين، ولا تعمل بكتب المتأخرين، فأنت أخبرني، واصدقني بما أنت عليه، وما تدعو الناس إليه؛ ليستقر عندنا خبرك ومحبّتك؟»، فممّا أجابه الشيخ: «وأما القول: أنّا نكفر بالعموم، فذلك من بهتان الأعداء الذين يصدون به عن هذا الدين، ونقول سبحانك هذا بهتان عظيم»[٣].

---

(١) في رسالته لأهل القصيم في بيان معتقده. ينظر: **الدرر السنية**، ١/٢٩-٣٤.

(٢) لم أجد له ترجمة.

(٣) **الدرر السنية**، ١/٩٩-١٠٠.

واستنكر هذه الفرية الشيخ عبدالرحمن السويدي العراقي[١] فأرسل للشيخ يسأله فأجابه الشيخ: «ومنها: ما ذكرتم أني أكفر جميع الناس إلا من اتبعني، وأني أزعم أن أنكحتَهم غير صحيحةٍ، فيا عجباً كيف يدخل هذا في عقل عاقل؟! وهل يقول هذا مسلم؟ إني أبرأ إلى الله من هذا القول الذي ما يصدر إلا عن مختل العقل، فاقد الإدراك، فقاتل الله أهل الأغراض الباطلة»[٢].

فهذا شيء من كلام الشيخ محمد وكلام غيره في بطلان نسبة التكفير بالعموم، والنقل عن الشيخ وأئمة الدعوة يطول في ردِّ هذه الفرية التي لا تنفك عن التي تليها، لكنه لن يُغني شيئاً لمن قلَّد ما يقوله الناس دون النظر إلى حقيقة قول الشيخ وتقريره.

المسألة الثانية: اتهام الشيخ بأنه لا يصح إسلام أحد إلا على يديه، وأنه يوجب الهجرة إليه

قال ابن داود (ل١٢ب): «**وزعم أنه لا يصح إسلام إلا على يديه، وأوجب الهجرة إليه**».

هذه الفرية مرتبطةٌ بالفرية السابقة على الشيخ محمد، ثم إنه

---

(١) هو الشيخ أبو الخير عبدالرحمن بن عبدالله بن الحسين السويدي العباسي البغدادي، زين الدين، مؤرخ، من بيت قديم في العراق، وُلد ونشأ في بغداد، وتوفي فيها سنة ١٢٠٠هـ، له كتب، منها حديقة الزوراء في تاريخ بغداد. ينظر: الزركلي، **الأعلام** (٣١٤/٣).

(٢) الدرر السنية، ٨٠/١.

لم يأت بنصٍّ من كلام الشيخ محمد - ولو كان موهماً كي يثبت هذه الدعوى، مع كثرة النقول التي ينقلها في الكتاب ممن يرتضي النقل عنهم، ولكن لأنه ليس في كلام الشيخ محمد ما يمكن تأويله أو الزيادة عليه حتى تتهمه بألا يصح إسلام أحد في زمانه إلا على يديه، أطلق هذه الدعوى التي يكفي في الاستدلال على بطلانها أنه لم يأت بنصٍّ واحدٍ يُثبت هذا الزعم عن الشيخ محمد.

ومما ينبغي فهمه أنه لم يتهم الشيخَ بهذه التهمة قبل ابن داود أحدٌ، إلا من قال بأنه يوجب الهجرة إليه، وقد صرّح الشيخ في رسالة له لأحد الأشخاص: «وأما الكذب والبهتان، فمثل قولهم: **إنا نكفر بالعموم، ونُوجب الهجرة إلينا على من قدر على إظهار دينه**، وإنا نكفر من لم يكفر، ومن لم يقاتل، ومثل هذا وأضعاف أضعافه، فكل هذا من الكذب والبهتان الذي يصدون به الناس عن دين الله ورسوله»[1].

ويظهر من اتهام ابن داود أنه ألزم فهمَه أن إيجاب الهجرة يلزم منه صحة الإسلام، فزاد الفريةَ فريةً أخرى أشدَّ منها، وبنى فريةً على فرية، فإذا لم يصحّ عن الشيخ أنه قال بوجوب الهجرة إليه فكيف يصحّ لنا أنه قال لا يصحُّ إسلام من لم يهاجر إليه؟!

ونصوص الشيخ محمد بن عبدالوهاب التي يُبين فيها ما يصحُّ به الإسلام هي في موجبات شهادة التوحيد وأركان الإيمان

(١) الدرر السنية، ١/١٠٤.

وما دلَّ عليه صريح القرآن مثبتة، ومنها قول الشيخ: «ومن المعلوم أنه لا يصح إسلام إنسان حتى يكفر بالطاغوت، وهو كل ما عُبد من دون الله، قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾[1]. ولم يربط قواعد الإسلام بتطبيقها عنده أو أمام عينه أو بالهجرة إليه، كيف والنصوص الكثيرة المتضافرة التي تُثبت أن الشيخ لا يكفِّر ولا يبطل إسلام المسلمين في سائر الأقطار والأمصار، وإنْ أقرَّ بأنَّ الشرك وأفعال القبوريين منتشرة فيها.

المسألة الثالثة: اتهام الشيخ محمد بأنه يدَّعي النبوة

في أكثر من موضع أشار ابن داود إلى أنَّ الشيخ محمداً يدَّعي النبوة لنفسه، وقد سبق ابن داود إلى هذا شيخه ابن فيروز. يقول ابن داود (ل٩٧أ) لمّا نقل كلام الشيخ محمد في الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية؛ قال: «**كذلك أنت تزعم بلسان حالك أنَّك نبي، وأتيتنا تدعونا إلى كلمة التوحيد، وأنت عن الحق أبعد من كل بعيد**». وقال في موضع آخر في الرد على رسالة الإمام (ل١٠٤ب): «**وأمَّا لسان حالكم فيدَّعي النبوة لابن عبدالوهاب، كما يدل عليه بعض فعالكم وفحوى أقوالكم**»، وأيضاً نحو هذا في (ل١٨٦ب).

(١) الدرر السنية، ١٠/٤١٧.

ومع هذه الظنون والتخرصات في أمرٍ كهذا، يتضح أنَّه لا يمكن مناقشة ابن داود في معنى الربوبية ومعنى الألوهية، وهل بينهما فرق أم لا، حيث يرى أن الشيخ محمداً يرفع نفسه لمقام النبوة فضلاً عن اتهامه بادِّعاء النبوة. وإذا كان الشيخ محمد في نظر ابن داود يدّعى النبوة، فكيف يجتمع وصفه بذلك مع وصفه بأنَّه خارجيٌّ ويريد السطو على الناس وإدخالهم في طاعته؟!

فوصفه بتكفير المسلمين واستباحة دمائهم وقتالهم هو دون هذه التهمة التي زرعها الشيطان في قلب ابن داود وأسقى غرسها فيه ابن فيروز، فهل تقوم قائمة للمناظرة العلمية في هذا الكتاب في مسائل الشرك والاستغاثة ونحوها بين ابن داود والشيخ محمد، وهو يرى الشيخَ محمداً بهذه الرؤية، وينظر إليه هذه النظرة، وأنّه يُضمر ادّعاء النبوة؟!

المسألة الرابعة: تكفير ابن داود الشيخ محمد بن عبدالوهاب وتضليله

قال ابن داود (ل١٢ب) بعد أن ذكر التُّهَم السابقة: «**فرماه العلماء عن قوس واحدة، وجزموا بتعطيل عقيدته الكاسدة، وتسفيه مقالته الفاسدة، ولم يشك أحد منهم في تبديعه وتضليله، أو تكفيره وتعطيله**»، وفي موضع آخر (ل ٥٢ب) وصفه بمسيلمة الصغير!

ومع هذا الحكم الجائر لابن داود هنا عدة أجوبة عنه:

أولاً: إذا كانت أولى الشُّبَه التي أثارها ابن داود على الشيخ محمد هو أنه يكفر الناس ويُضللهم، فقد وقع ابن داود فيما اتهم الشيخ به ورماه. فإن كان يرى ابن داود أن له مسوِّغاً في هذا الحكم على الشيخ وتضليله وتكفيره، فالشيخ أيضاً مجتهد مع أنه لم يُعيِّن في التكفير كلَّ من خالفه، وإنما كان حكمه على الأفعال لا على الأعيان، ومع كثرة كلام الشيخ رحمه الله، فإن تخصيصه بالتكفير وتعيينه لم يقع منه إلا في أفرادٍ معدودين، قامت للشيخ فيه حجة علمها وتيقنها، وستأتي الإشارة إلى هذا.

ثانياً: إذا كان ابن داود ضلَّل الشيخ محمداً وكفَّره لأنه كفَّر الناس وضلَّلهم، فليس الخطأ في التكفير موجباً للكفر، فهؤلاء الخوارج الذين كفَّروا عليّاً ﷺ ومن معه من صحابة رسول الله ﷺ لم يُكفِّرهم عليٌّ ولا الصحابة[1]- وإن كان الخلاف في تكفير الخوارج قائماً، إلا أنَّ الصحيح هو عدم تكفيرهم[2]-، فلا يكون الحذر من التكفير بتكفير صاحبه، وهذا يجعل الأمر الثالث (الآتي) أقرب إلى توصيف سبب حكم ابن داود على الشيخ.

ثالثاً: أنَّ تكفير ابن داود وتضليله الشيخ محمداً وما جاء به ليس لتُهمة تكفيره الناس وتضليلهم، بل السبب هو ما ذكره الشيخ محمد نفسُهُ في أنَّ المخالفة هي في الدعوة إلى التوحيد، يقول

(١) ينظر قول علي بن أبي طالب في: ابن أبي شيبة، عبدالله بن محمد، **المصنّف**، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ، ٥٦٣/٧.

(٢) ينظر: الدرر السنية، ٣٦٤/١٠، ص٤٢٥.

الشيخ محمد في إحدى رسائله لبعض العلماء موضِّحاً أنَّ خصومه يُكفرونه بمحض التوحيد، فقال: «وذكر ابن عبدالهادي في مناقب الشيخ - أي ابن تيمية لمَّا ذكر المحنة التي نالته بسبب الجواب في شدِّ الرحل- فالجواب الذي كفروه بسببه ذكَرَ أن كلامه في هذا الكتاب أبلغ منه فالعجب إذا كان الكتاب عندك، وعلماء في زمن الشيخ كفروه بكلام دونه، فكيف بالمويس وأمثاله لا يكفروننا بمحض التوحيد؟! وكلامي هذا تنبيه أن إنكار التوحيد متقدم وكذلك التكفير لمن اتبعه»؛ أي إن الدعوة إلى التوحيد وتقرير ذلك هو سبب معاداة المخالفين وتكفيرهم لمن ينادي به، وهو أمر قديم في المخالفين، ثم ذكر ما حدث لشيخ الإسلام ابن تيمية حين ردَّ البكري الشافعي على جوابٍ لابن تيمية في حكم الاستغاثة بغير الله، وكفَّر فيه ابن تيمية، فردَّ شيخ الإسلام عليه بمؤلفه المشهور «الرد على البكري»[1].

وبخصوص ما أثاره المويس على دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، فإنَّه من المهم جدّاً إضافة الرسالة التي بعث بها رجلان من أهل العلم إلى المويس، وقد كانا شاهدين على ما كانت عليه الحال قبل دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب. ونصُّها:

«من محمد بن غيهب ومحمد بن عيدان[2] إلى عبدالله

---

(١) الدرر السنية، ١٠/٨١-٨٢.

(٢) لم أجد لهما ترجمة.

المويس، الباعث للكتاب إخبارك عن ديننا قبل أن يجعل الله هذا الشيخ لهذا القرن يدعوهم إلى الله وينصح لهم ويأمرهم وينهاهم، حتى أطلع الله به شموس الوحي، وأظهر به الدين، وفرق به أهل الباطل من السادة والكهان والمرتشين. فهو غريب في علماء هذا الزمان، هو في شأنٍ وهم في شأن آخر. رفع الله له علم الجهاد فشمَّر إليه فأمر ونهى ودعا إلى الله تعالى ونصح ووفى بالعهد لما نقضوه، وشمَّر عن ساعد الجد لما تركوه، وتمسك بالكتاب المنزل لما نبذوه، **فبدَّعوه وكفَّروه، فديننا قبل هذا الشيخ المجدِّد لم يبق منه إلا الدعوى والاسم، فوقعنا في الشرك فقد ذبحنا للشياطين، ودعونا الصالحين، ونأتي الكهان، ولا نفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ولا بين توحيد الربوبية الذي أقر به مشركو العرب وتوحيد الألوهية الذي دعت إليه الرسل، ولا نفرق بين السنة والبدعة، فنجتمع لليلة النصف من شعبان لصلاتها الباطلة التي لم ينزل بها من سلطان، ونضيع الفريضة، ونقدم قبل الصلاة الوسطى -صلاة العصر- من الهذيان ما يفوتها عن وقت الاختيار إلى وقت الضرورة.** هذا وأضعافه من البدع لم ينهنا عنه علماؤنا بل أقرونا عليه وفعلوه معنا، فلا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر ولا ينصحون جاهلاً ولا يهدون ضالّاً، والكلام من جهتهم طويل عصمنا الله وإياك من الاقتداء بهم واتباع طريقتهم، فكن منهم على حذر إلا القليل منهم. ويكفيك عن التطويل أن الشرك بالله يُخطب به على منابرهم، ومن ذلك قول ابن الكهمري: اللهم صل على

سيدنا وولينا ملجئنا منجانا معاذنا ملاذنا. وكذلك تعطيل الصفات في خطب الطيبي، فيشهد أن الله لا جسم ولا عرض ولا قوة.

فقبل هذا الشيخ لا تؤدَّى أركان الإسلام كالصلاة والزكاة، فلم يكن في بلدنا من يُزكي الخارج من الأرض، حتى جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً»[١].

ولم يكتفِ ابن داود بتكفير الشيخ والحث على مقاتلته، بل نقل تكفير آخرين للشيخ محمد، منهم الشيخ محمد بن الطيب الفاسي المغربي المالكي[٢]، الذي له ردٌّ على الشيخ محمد بن عبدالوهاب وفيه يقول: «وإنَّ ابن عبدالوهاب يقول من تبرَّك برسول الله ﷺ فهو كافر، فأُورد عليه فعل الصحابة فتعذَّر عنهم بأنَّهم لم يعلموا ذلك، وأنَّهم مغفور لهم» إلى أن قال: «فهذه القولة الشنيعة لزمه منها الكفر من وجوه». وهذا الردُّ كان جواباً على رجل من أهل نجد أرسله إلى علماء في الحرمين، ومنه يظهر افتراء

(١) ينظر: البسام، **علماء نجد**، ٣٦٧/٤، ٣٦٨.

(٢) هو محمد بن الطيب بن محمد بن محمد بن موسى الصميلي الفاسي المالكي، شمس الدين أبو عبدالله الشهير بابن الطيب الشرقي، ولد بمدينة فاس سنة ١١١٠هـ، وطلب العلم على علمائها وعلماء المغرب، ورحل وأخذ عن علماء مصر والشام والعراق، واستقرَّ في المدينة النبوية، ودرّس وصلَّى في المسجد النبوي، وتوفي فيها سنة ١١٧٠هـ. ينظر: الحسيني، محمد خليل، **سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر**، دار البشائر الإسلامية، دار ابن حزم، بيروت، ط٣، ١٤٠٨هـ ٩١/٤-٩٤، **الأعلام**، ١٧٧/٦-١٧٨.

هذا السائل[1] على الشيخ محمد بن عبدالوهاب وتقوُّله عليه بأنَّ الصحابة لم يعلموا حكم التبرك.

المسألة الخامسة: تكفير المعيَّن عند الشيخ محمد بن عبدالوهاب

من المسائل التي أثارها ابن داود في كتابه مسألة تكفير المعيَّن عند الشيخ محمد بن عبدالوهاب، فقال عن عبدالله بن عيسى المويس (ل٢١أ): «**وأكثر أوراد ابن عبدالوهاب مسبَّته ولعنه، وكثيراً ما يقول كفر فرعون ما يبلغ جزءاً من ألف جزء من كفر المويس**».

والجواب عن كلام ابن داود هذا من وجوه:

أولاً: أنَّ الشيخ محمد بن عبدالوهاب له من الرسائل الكثيرة الخاصة والعامة التي خاطب فيها أفراداً وجماعات، وجُلُّ كلام الشيخ هو في توضيح حقيقة التوحيد وما يضادُّه من الأقوال والأفعال، والشيخ يحكم على هذه الأقوال والأفعال ومن اقترفها، وهذا كلُّه يدخل في التكفير المطلق، والشيخ ينصُّ على أنَّه لا يكفر أحداً بعينه إلا بيقين وسبق ذكر هذا النص، ثم هو يعد الجهل مانعاً من التكفير كما قال: «وإذا كنا لا نكفر من عبدالصنم، الذي على عبدالقادر، والصنم الذي على قبر أحمد البدوي، وأمثالهما **لأجل جهلهم، وعدم من ينبههم**، فكيف نكفر من لم يشرك بالله إذا لم

(١) هو عمر بن حامد كما في مخطوط الصواعق، ينظر: (ل٨٢أ-ل٨٣أ).

يهاجر إلينا»[1]، فهل يكون التكفير المعيّن منهجاً للشيخ بعد هذا كلِّه؟.

ثانياً: أن ممَّا نصَّ عليه الشيخ محمد في إحدى رسائله العامَّة لمن يراه من المسلمين: «**نحن ما جئناكم في التكفير والقتال**، لكن ننصحكم بهذا الذي قطعتم أنه دين الله ورسوله أن تعلموه وتعملوا به، إن كنتم من أتباع محمد باطناً وظاهراً»[2].

ثالثاً: أنَّ المعول عليه عند ابن داود ليس الحكم على معيَّنٍ من عدمه، وإنما المناط عنده في الفعل، وهل هو ناقض للتوحيد أم لا؟ فإذا كان ابن داود يرى أن الاستغاثة بغير الله جائزة، وأنَّ تعظيم القبور والمشاهد بطلب الحوائج من الأموات واستشفاعهم من دون الله ليس بناقض للتوحيد، فإنَّ الحديث عن مسألة التكفير تحصيل حاصل.

وإذا كان ابن داود يتَّهم الشيخ محمداً بتكفير عموم الناس من ستمئة سنةٍ، فإن الحديث عن كلام الشيخ في المعيَّن، ومنهم المويس وغيره لا معنى له هنا مع ابن داود.

رابعاً: أن المويس ليس بريئاً مما اتَّهم به ابن داود الشيخ محمداً، فقد ذكر الشيخ محمد بن عبدالوهاب في المسألة السابقة أنَّ المويس يُكفِّره لمجرد دعوته للتوحيد وبيان نواقضه، وابن داود حكم على الشيخ محمد بالكفر والضلال كما في المسألة السابقة.

---

(١) الدرر السنية ١/١٠٤.

(٢) الدرر السنية ١/٩٢.

خامساً: ما ذكره ابن داود من أنَّ المويس أنكر على من تبرك بتربة قبرٍ في بلاد الشام يعارضه ما نصَّ عليه الشيخ محمد في أكثر من موضع، من أنَّه كان يحرِّض أهل قبة الكواز وقبة أبي طالب[1] - سدنة تلك القبب وأهلها- يحرِّضهم على الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وأنَّه يُنكر ما تقومون به من أفعال وأقوال، وهل الخلاف بين المويس وابن عبدالوهاب في مسائل التبرّك وتعظيم الأموات فقط؟!

سادساً: أنَّ الشيخ - رحمه الله - لم يكفِّر أحداً بعينه مع كثرة رسائله ونصائحه واستنكاره لأفرادٍ وجماعاتٍ، إلا ما ورد في حق بضعة أشخاص، ومنهم المويس لا يتجاوزون الأربعة فيما صرّح به في رسائله مع كثرة من يخالفهم الشيخ، وقد قرن ذلك الحكم بالحجة القائمة عليهم ما داموا مُقرِّين بذلك عالمين بالدليل، والشيخ أعلم بحالهم فهو المناظر لهم بالرسائل كتابة ومشافهة. وإذا أقرَّ ابن داود بكثرة من يخالفهم الشيخ ويحتجُّ بأنَّ الشيخ محمداً يُكفِّر المعيَّنين، فأين هذا التعيين لهذه الكثرة الذين يخالفهم الشيخ ولم يذكره ابن داود؟

ثم هبْ أنَّ الشيخَ محمداً أخطأ في حق واحدٍ بعينه، فهل

---

(١) قبة الكواز: هي قبة على قبر رجل من آل كواز في مسجد بالبصرة، وقبة أبي طالب يزعمون أنها كانت على قبر أبي طالب عم النبي ﷺ في مكة. ينظر مقال عن القبور الثلاثة المزعومة في مكة في **مجلة العرب** س١٧ ج٣-٤ ص١٦٧ للأستاذ حمد الجاسر. وموقع الويكيبديا على شبكة الإنترنت.

تنتهي مخالفة ابن داود مع الشيخ محمد في هذا الأمر؟ وإنما حقيقة مخالفة ابن داود للشيخ هي في أنَّ ما استنكره الشيخ على المخالف من صرف العبادة لغير الله ليس شركاً عند ابن داود، كما سبقت الإشارة إليه.

هذه أبرز المسائل التي أثارها ابن داود في كتابه، وهي التي يُمكن مناقشتها ودراستها من الناحية العلمية. وأما ما أثاره ابن داود تجاه الشيخ فلم تخل ورقة في الكتاب من همز ولمز بالشيخ محمد وقومه وقبائل تميم وبني حنيفة وبني وائل، وإقذاع في الوصف لأهل نجد، وإفك وكذب في نقل الكلام والأحكام ونسبته للشيخ محمد[١]، حتى إنه حكم على الشيخ بأنه ليس من حزب النبي ﷺ وأنه مات ميتة جاهلية[٢]، وكذا اختلاقه أحاديث لم ترد حتى في كتب الموضوعات وتنزيلها على الشيخ محمد[٣].

---

(١) كقول ابن داود (ل٣٧ ب): «وقال ابن عبدالوهاب: لا يزال الرجل عالماً ما لم يتعلم، فإذا تعلم فهو أجهل الجهال وحكمنا عليه بالكفر والضلال»، وغيرها من النصوص التي يستحي أن يتلفظ بها عاقل، ومنها قوله: «إنَّ الشيخ محمداً يسبّ الفقه وكتب الفقه وأهل الفقه ويزهد فيها»، (ل٣٦ب)، ومنها قوله (ل٨٦ب): «وقال ابن عبدالوهاب: من تفقَّه في الدين فهو من جملة الشياطين»!

(٢) (ل ٥٣ ب).

(٣) كروايته (ل٣٠ب) لحديث مروي عن العباس مرفوعاً «سيخرج في ثاني عشر قرناً في وادي بني حنيفة رجل كهيئة الثور لا يزال يلعق براطمه»، ويقول ابن داود بعده: «وإن لم نقف له على مخرج فله شواهد كثيرة تقوي معناه»، فيا للعجب من هذا المصنَّف الذي يقرِّظ ويُثني عليه! ولا يزال المخالفون للدعوة=

القسم الثاني: المسائل المتعلقة بالدعوة الإصلاحية ومنهجها

المسألة الأولى: الاختلاف في مفهوم التوحيد، واستنكار ابن داود كثرة ترديد أتباع الدعوة الكلام في التوحيد

قال ابن داود (ل١٩أ): «فكيف لنا بالجاهل المركب الذي من الدين مرق ونكب، ومثل كونهم يدعون إلى التوحيد وليسوا منه في شيء، فإنهم لا يتكلمون إلا في التوحيد حتى إن تسعة أعشار كلامهم التوحيد التوحيد، وليسوا منه في شيء».

وقال في موضع آخر(ل١٠١أ): «قال ابن عبدالوهاب في رسالةٍ له أرسلها لأهل الأحساء في مبادئ أمره: اعلم أن التوحيد هو دين الرسل، وهو إفراد الله بجميع العبادة. قال العلامة ابن عفالق في شرح كلامه، أقول هذه العبارة عبارة من لا عرف التوحيد ولا حام حوله، بل توحيد العبادة عبارة عن قسم من أقسام، والعبارة الصحيحة أن يقال: إفراد التوحيد من المحدث وإفراده بالربوبية والوحدانية ومباينته لجميع مخلوقاته...، ولا يغني أحد التوحيدين عن الآخر».

هذه النصوص من ابن داود تكشف مدى أهمية موضوع التوحيد عنده، وخصوصاً مفهوم توحيد العبادة، كيف لا يكون توحيد العبادة هو توحيد الرسل والله سبحانه يقول: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ

=الإصلاحية يتناقلون مثل هذه الأحاديث المكذوبة على النبي ﷺ.

فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ﴾، وقد تكلم ابن داود في مواضع كثيرة في كتابه بأن معنى الإله هو (المعبود)، وتوحيد العبادة متضمنٌ توحيد الربوبية والأسماء والصفات، فكيف يكون نفي الحدوث من توحيد الله وهو لفظ مجملٌ لم يرد في الشرع، وهذا تفسير المتكلمين في التوحيد مع أنهم ينفون المباينة التي أثبتها ابن داود لأنها من لوازم المحدثات عندهم[1].

ولو كان نقد ابن داود لمفهوم التوحيد عند أتباع الدعوة لحرَّر المسألة بنصِّها، ولبيَّن مفهوم الخطأ عندهم في توحيد العبادة، ولكن لمّا كان توحيد العبادة وما يضادّه مما لا يحمله ابن داود حملاً صحيحاً، أطلقَ هذه العبارة العامّة التي لا يرتضيها مسلم فكيف بمُنتمٍ للعلم، أليس التوحيد هو رأس رسالة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأساس دعوتهم؟ وغاية بعثهم وإرسالهم؟ يقول الحق سبحانه ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء٥٢]. الحديث عن التوحيد حديث عن أمر عظيم، وحماية جنابه هدي نبوي قويم.

والذي يُبيِّن أن ابن داود غير محقِّق في هذا الأمر أنه بعد هذا الكلام مباشرة نقل عن اللقاني (ت١٠٤١هـ) في جوهرة

---

(١) الباقلاني، محمد بن الطيب، **تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل**، مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان، ص٣٠٥.

التوحيد، ثم نقل عن البربهاري (ت٣٢٩هـ) في شرح السنّة الحكم على الخوارج؛ زعماً منه أنَّ كلامهما يستقيم في حق الشيخ محمد وأتباعه، ولو كان ابن داود محقِّقاً لعرف الفرق بين النقل من جوهرة التوحيد التي هي معتمد الأشاعرة المتأخرين، وبين البربهاري الذي هو من أشد الناس على الأشاعرة ومخالفة السنَّة، ثم يأتي بكلام البربهاري في شفاعة النبي ﷺ لعصاة الموحدين الذين دخلوا النار؛ ليُثبت أن شروط الشفاعة التي ذكرها الشيخ محمّد بن عبدالوهاب ليست عند البربهاري، فيقول: «**هل كَفَر البربهاري لأنه لم يشترط في شفاعة الرسول ﷺ فمن بعده المشيئة والإذن؟**»، وكلام البربهاري في الشفاعة مختصر وعدمُ ذِكْره الإذن والمشيئة لا يدلّ على نفيه لهما. وممَّا يدلُّ على سطحية ابن داود في الفهم أنه يأتي بكلام البربهاري في أنّ الإنسان لا يدري على ماذا يموت فينبغي له ملازمة الخوف، ثم يقول ابن داود: «**وهذا في غير محمد بن عبدالوهاب وعبدالعزيز بن سعود، أما هما فمقطوع لهما بالجنة والعصمة**»، فهذا من سخرية ابن داود التي يغني ذكرها عن نقضها، وفيها كشفٌ لقيمة كتابه الصواعق وما قام عليه.

المسألة الثانية: تنزيله أحاديث الخوارج وأهل الفتن على الدعوة الإصلاحية

قال ابن داود (ل١٣ب): «**فيما ورد عن رسول الله ﷺ في خروج هذا الضال المضل...**»

هذا هو مطلع الفصل الأول من خمسة فصول جعلها ابن داود في مقدمة الكتاب، وذكر تحت هذا الفصل أحاديث منها ما هو صحيح ومنها ما هو ضعيف، وأنزلها جميعاً على الشيخ محمد بن عبدالوهاب ودعوته الإصلاحية التي جاءت في تقرير توحيد الله في الدعاء وسائر أنواع العبادة. ذكر منها حديث حذيفة بن اليمان ﷺ: «والله ما ترك رسول الله ﷺ من قائد فتنة، إلى أن تنقضي الدنيا، يبلغ من معه ثلاثمئة فصاعداً، إلا قد سماه لنا باسمه، واسم أبيه، واسم قبيلته»[1]. وهذا الحديث مع ضعفه وغرابته، لم يذكر ابن داود الشاهد منه في حق الشيخ محمد ودعوته، سوى أن أدخل سوء فهمه في عموم الحديث، والعموم المطلق في هذا الحديث يجوز معه تنزيله لكل أحد على كل من يعاديه في الدعوة أو المنهج، وهذا على فرض صحة الحديث وقبوله.

ثم ذكر حديث قرن الشيطان، وهو حديث عبدالله بن عمر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: وهو على المنبر: «ألا إن الفتنة ها هنا يشير إلى المشرق من حيث يطلع قرن الشيطان»[2]،

---

(١) رواه أبو داود في **السنن**، كتاب الفتن والملاحم، باب ذكر الفتن ودلائلها رقم (٤٢٤٣)، والحديث ضعّفه الألباني في تحقيقه على المشكاة، ينظر: التبريزي، محمد بن عبدالله، **مشكاة المصابيح**، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٩٨٥م، ١٤٨٤/٣ رقم ٥٣٩٣.

(٢) متفق عليه، **البخاري**، كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ الفتنة من قبل المشرق، رقم (٧٠٩٣)، **ومسلم**، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب الفتنة من قبل=

ثم أخذ يذكر الروايات والنقولات الواردة في الحديث، وهذا يدلُّ على أنَّ المقصود عنده بالمشرق هي أرض نجدٍ التي باليمامة.

وهذه المسألة سبق المخالفون لدعوة الشيخ فيها ابنَ داود، فقد ذكرها ابن عفالق والحداد وسليمان بن عبدالوهاب شقيق الشيخ محمد، ولا يزال يُردد هذا الكلام أعداء دعوة الشيخ محمد حتى الرافضة.

الجواب عن هذه الشبهة:

أولاً: المقصود بالحديث هو الأرض التي مما يلي العراق، وهذا ظاهر صنيع ابن بطّال في شرح البخاري، ولذلك قال: «ومعلوم أن البدع إنما ابتدأت من المشرق، وإن كان الذين اقتتلوا بالجمل وصفين بينهم كثير من أهل الشام والحجاز، فإن الفتنة وقعت في ناحية المشرق»[(١)]، وكذا ابن عبدالبر وغيره[(٢)].

ثانياً: أن الذم والمدح يقع على الحال لا على المحل، يقول الشيخ عبدالرحمن بن حسن في الجواب عن هذه الشبهة: «الذم إنما يقع في الحقيقة على الحال، لا على المحل، والأحاديث التي

=المشرق، رقم (٢٩٠٥).

(١) ابن بطال، علي بن خلف، **شرح صحيح البخاري**، مكتبة الرشد، الرياض، ط٢، ١٤٢٣هـ، ٤٤/١٠.

(٢) ابن عبدالبر، يوسف بن عبدالله، **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، تحقيق: مصطفى العلوي ومحمد البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧هـ، ٢٧٩/١.

وردت في ذم نجد، ومنها قوله ﷺ: «اللهم بارك لنا في يمننا، اللهم بارك لنا في شامنا، قالوا: وفي نجدنا، قال: هناك الزلازل والفتن، وبها يطلع قرن الشيطان، قيل: إنه أراد نجد العراق؛ لأن في بعض ألفاظه ذكر المشرق، والعراق شرقي المدينة، والواقع يشهد له، لا نَجْد الحجاز، ذكره العلماء في شرح هذا الحديث. **فقد جرى في العراق من الملاحم والفتن ما لم يجر في نجد الحجاز**، يعرف ذلك من له اطلاع على السير والتاريخ، كخروج الخوارج بها الذين قاتلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وكمقتل الحسين، وفتنة ابن الأشعث، وفتنة المختار (وقد ادعى النبوة)، وقتال بني أمية لمصعب بن الزبير وقتله، وما جرى في ولاية الحجاج بن يوسف، من القتل والسفك، وغير ذلك مما يطول عدُّه.

وعلى كل حالٍ فالذم يكون في حال دون حال، ووقت دون وقت، بحسب حال الساكن؛ لأن الذم إنما يكون للحال دون المحل، وإن كانت الأماكن تتفاضل. وقد تقع المداولة فيها، فإن الله يداول بين خلقه حتى في البقاع، فمحل معصية في زمن قد يكون محل طاعة في زمن آخر»[1].

ثالثاً: كون نجدٍ هي أرض مسيلمة الكذاب أو كانت موطئاً لبعض الخوارج، فإنَّ هذا لا يعيب نجداً وأهلها ما داموا على الحق سائرين وبهدي النبي ﷺ مسترشدين. وقد كفى وأوفى

---

(١) الدرر السنية، ١١/١٨٠-١٨١.

الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن - رحمه الله - حين ردَّ على عثمان بن منصور[١]: «كون نجدة الخارجي والقرمطي من هذه البلاد كلام كذب وزور على عادته، فإن نجدة ابتُلي ببدعته ومروقه بالعراق، وبها استقرَّ وهي وطنه، وأيضاً فقد ثبت أنه تاب لمّا ناظره ابن عباس.

والقرمطي بلاده القطيف والخط، وليس من حدود اليمامة، بل ولا من حدود نجد، **ثم لو فُرض أنه من نجد ومن اليمامة ومن بلدة الشيخ، أيّ ضررٍ في ذلك؟** وهل عاب الله ورسوله أحداً من المسلمين أو غيرهم ببلده ووطنه، وكونه فارسيّاً أو زنجيّاً، أو مصريّاً من بلاد فرعون، ومحل كفره وسلطنته؟ وعكرمة بن أبي جهل من أفاضل الصحابة، وأبوه فرعون هذه الأمة»[٢]، وقال: «وقد قال بعض الأزهريين: مسيلمة الكذاب من خير نجدكم، فقلت: وفرعون اللعين رئيس مصركم فبُهت»[٣].

والعجيب من ابن داود حين يعزو الفتنة إلى بلاد نجد ليُلصق ذلك بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب أنه لم يسلم من الوقوع

---

(١) عثمان بن عبدالعزيز بن منصور التميمي، وُلد في بلدة الفرعة في إقليم الوشم، وأخذ عن علمائها وعلماء العراق، وتأثر بداود بن جرجيس، وعادى دعوة الشيخ محمد، مع أنه شرح كتاب التوحيد بشرح طويل سمّاه (فتح الحميد)، توفي سنة ١٢٨٢هـ. ينظر: **علماء نجد**، ٨٩/٥.

(٢) **مصباح الظلام**، ص٤٥٥.

(٣) المصدر السابق (٣٦٩).

في التناقض حين زعم أنَّ الشيخ محمداً تعلّم عند علماء العراق، وأنها بلاد ضلال وفتنة! وسمّى البصرة بهذا. ذكر ذلك في (ل١٥أ).

وممَّا جاء في تنزيل ابن داود النصوص الشرعية على الشيخ وقومه، تنزيله آية الحجرات ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحجرات٤] وحديث ذي الخويصرة على الشيخ محمد بن عبدالوهاب وقومه، قال في الصواعق (ل١٦ب): «**قال قتادة: نزلت في أُناسٍ من بني تميم وهذا المغرور منهم، وكذا كثير من أتباعه ..**»، وقال عن ذي الخويصرة: «**فإن هذا المغرور من تميم، ويُحتمل أنه من عقب ذي الخويصرة، وضئضئ الرجل: أصله، فإن قيل هذا في الخوارج الذي قتلهم الإمام علي يحتمل هذا الحديث في نسله وعقبه ..**».

إن كانت الموازين عند ابن داود في النسب، فإنَّ النبي ﷺ قد امتدح تميماً في عدة نصوص[1]، فكيف يمتدح النبي ﷺ بعامّةٍ من وَرَد ذمُّهم بعامَّةٍ كما زعم؟ وإن كان الأمر يخصُّ بعضهم فالتخصيص للفعل لا النسب. وهل يُلحق ابنُ داود سليمانَ بن عبدالوهاب (شقيق الشيخ محمد) في هذا الذم، وأنَّه من نسل

---

(١) في البخاري (رقم ٢٥٣٤) قال أبو هريرة: ما زلت أحب بني تميم منذ ثلاث سمعت من رسول الله ﷺ يقول فيهم، سمعته يقول: هم أشد أمتي على الدجال، قال: وجاءت صدقاتهم، فقال رسول الله ﷺ: هذه صدقات قومنا، وكانت سبية منهم عند عائشة، فقال: أعتقيها فإنها من ولد إسماعيل.

ذي الخويصرة وهو من المعارضين للدعوة، والمؤيدين لابن داود ومن معه؟ وابن داود لا يجهل أن كثيراً من معارضي الشيخ محمد كانوا من قوم الشيخ وقرابته[١]، ولكن الهوى غلب ابن داود فأصبح يتعلَّق بأي سبب للنيل من الشيخ ودعوته وأتباعه.

المسألة الثالثة: دعوته إلى قتال أهل الدعوة الإصلاحية والقضاء عليها

قال ابن داود (ل١٣أ): «**فلعل شجاعاً يكشف هذه الغمَّة، ويقطع تلك الفتنة الصمَّاء المدلهمَّة، بخميسٍ عرمرمٍ متزاحم الأفواج، وعسكر ضخم متلاطم الأمواج، ممدود بغاية الظفر والنصر، مرصود بعناية الربانية على أهل العصر، فيجيء مسيلمة[٢] ..، ويدمِّر اليمامة، ويجددُ ويلها إلى قيام الساعة ..**».

هذه الأمنية التي تمنَّاها ابن داود سعى إليها شيخه محمد بن فيروز، حين حثَّ وحرَّض والي بغداد على عزمه الإغارة على نجد بقيادة ثويني بن سعدون -أمير المنتفق-، وأنشد قصيدةً في ذلك محرضاً على قتال أئمة الدعوة:

أنامل كفِّ السعد قد أثبتت خطّاً بأقلام أحكامٍ لنا حُرِّرت ضبطاً[٣]

---

(١) وشيخ ابن داود هو محمد بن عبدالله فيروز التميمي - سبقت ترجمته - وهو ألدّ خصوم الشيخ وأشدّهم.

(٢) كلمة غير واضحة.

(٣) وقد ردَّ عليها ابن غنَّام. وذكر ابن بشر في حوادث سنة ١٢١١هـ، أن والي=

وابن داود توفي سنة ١٢٢٥ هـ، ولم يُدرك غزو إبراهيم محمد علي باشا - والي العثمانيين على مصر - لبلاد نجد ودخوله الدرعية سنة ١٢٣٣ هـ، ودكِّه بلدات نجد وما فعل بأهلها، وإلا لطار بذلك فرحاً، لكن شاء الله تعالى ألَّا يُريَه ذلك، كما شاء سبحانه لشيخه ألا يفرح بهجوم ثويني على نجدٍ في مسيره؛ حيث لقيَ حتفه من مولًى له قبل دخوله الأحساء.

ومع هذه الحملات التي وُجِّهت للدولة السعودية، لا تزال آثار هذه الدعوة الإصلاحية باقيةً إلى اليوم بحمد الله تعالى.

=بغداد لم يعلم أن تحريض ابن فيروز ومن معه ممن حرَّض إنما هو لقصد أنفسهم. وثويني هذا كان قد اختلف مع حمود بن ثامر السعدون ولجأ إلى الدرعية فزوَّده الإمام بمال وعتاد قبل أن يعود إلى والي بغداد. ينظر: ابن بشر، **عنوان المجد**، ٢١٨/١-٢١٩، وينظر تعليق د.عبدالرحمن العثيمين: **السحب الوابلة** ٩٧٠/٣.

القسم الثالث: المسائل التي ادَّعى فيها مفارقة الشيخ محمد الشيخين ابن تيمية وابن القيم

في (ل ٤٠أ) عقد ابن داود فصلاً في مباينة الشيخ محمد بن عبدالوهاب لشيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة والمنهج، وفصلاً آخر في مباينة ابن القيم، وفصلاً آخر في رد ابن مفلح على الشيخ محمد، وأخذ يقارن بينهما قصداً لإسقاط الشيخ محمد بن عبدالوهاب في المنزلة والعلم، ويتكلم عن أشياء لا علاقة لها بما عقده؛ ومنها قوله: «إن ابن تيمية من بلد مبارك وابن عبدالوهاب من بلد غير مبارك»، وقوله: «إن أتباع ابن عبدالوهاب يقتلون الصبيان، ويبقرون بطون النساء، ويُخرجون الأطفال، ويقولون هذا مشرك، وغير ذلك من الكلام الذي تأنفه الأسماع ولا تصدِّقه الطباع»، فشحن هذه الفصول بمثل هذا الكلام، فانصرف عن أن يُقنع قارئ الكتاب بصدق مباينة ابن عبدالوهاب لابن تيمية وابن القيم وابن مفلح.

ومع هذا سأعرض بعض الأمثلة التي ضربها للمقارنة بين الشيخ محمد بن عبدالوهاب وشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم، وسأكتفي بها لغُنية الحديث بها عن الحديث بغيرها، وهي ثلاثة أمثلة:

المثال الأول: الشفاعة

قال ابن داود (ل٥١ب): «وقال الشيخ - يعني ابن تيمية

- والاستغاثة لمعيَّنٍ أن يطلب من الرسول ﷺ ما هو اللائق به لا ينازع فيه مسلم، ومن نازع في هذا المعنى فهو إما كافر إن أنكر ما يكفر به وإما مخطئ، وابن عبدالوهاب يقول من طلب الشفاعة من رسول الله ﷺ كفر ..».

هذه العبارة لابن تيمية هي من كلامٍ ينقله عن العلماء في ردِّه على البكري الذي ردّ على ابن تيمية في مسألة الاستغاثة، فردَّ عليه ابن تيمية بالردِّ المشهور بالاستغاثة في الرد على البكري[1].

وهذا الاجتزاء من ابن داود يوهم القارئ أن ابن تيمية يطلق مقام الاستغاثة بالنبي ﷺ حتى بعد موته، ويوهم أن ابن تيمية يرى أن هذا هو اللائق به، وتتمَّة كلام ابن تيمية بعد هذا مباشرةً قوله: «أما المعنى الذي نفاه الرسول ﷺ فهي أيضاً مما يجب نفيها، ومن أثبت لغير الله ما لا يكون إلا لله فهو أيضاً كافر إذا قامت عليه الحجة التي يكفر تاركها»، فأين تقرير ابن داود لهذا المعنى الذي نفاه ابن تيمية في حق النبي ﷺ وحق غيره ويراه كفراً، وهو الذي يعنيه الشيخ محمد، ومثل هذا كثير في كلام ابن تيمية - رحمه الله - ومنه قوله: «إن دعاءهم (أي الأنبياء والصالحين)، وطلب الشفاعة منهم في هذه الحال - أي بعد موتهم - يُفضي إلى الشرك بهم، ففيه هذه المفسدة، فلو قدر أن فيه مصلحة لكانت هذه المفسدة

(١) ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم، **الاستغاثة في الرد على البكري**، تحقيق: د.عبدالله السهلي، مكتبة ودار المنهاج، الرياض، ط٢، ١٤٢٦هـ، (ص ٢٠٢)، وينظر ص٣٤٦.

راجحة، فكيف ولا مصلحة فيه»[1]، وفي هذه المسألة خصوصاً كثيراً ما ينقل ابن عبدالوهاب عن ابن تيمية، ويقرِّرُ فيها ما يُقرِّره ابن تيمية، وهو الإقرار بمقام النبي ﷺ في الدنيا والآخرة، وأنه ادّخر الشفاعة لأمته يوم القيامة، فلم يكن الصحابة يطلبون منه شيئاً بعد موته ﷺ. فالمباينة حقّاً هي بين ابن داود وابن تيمية.

وفي مسألة الشفاعة التي يُكرر ابن داود ذكرها ومناقشتها في ثنايا الكتاب كما في (ل١٣٤ب-١٣٥) وفي غيرها من المواضع يرتكز تقرير ابن داود في جواز الاستشفاع بالنبي ﷺ في قبره على عموم ثبوت شفاعته ﷺ والأدلة التي دلّت على ذلك، كما يرتكز إلى نصوص بعض العلماء، ويُحاول جاهداً أن يُثبت هذا الرأي -وهو جواز سؤال النبي ﷺ وهو في قبره- إلى ابن تيمية وابن القيم، لهذا يحتاج بعد كل نقل إلى شرح لكلامهم.

المثال الثاني: تكفير المعين

قال ابن داود (ل٥٦ب): «**وملخص الكلام أنَّ الشيخ تقي الدين لم يُنقل عنه أنه كفَّر واحداً معيَّناً من أهل القبلة واستحلَّ دمه وماله، حتى ولو كفره فلا يكفر من كفره**».

لا يصح ما نسبه ابن داود إلى شيخ الإسلام ابن تيمية في أنه

---

(١) ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم، **قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة**، تحقيق: د. ربيع المدخلي، مكتبة الفرقان، عجمان، ط١، ١٤٢٢هـ، ص ٥١.

لم يُعيِّن أحداً (شخصاً كان أو طائفةً) استحقت الكفر ولم يذكره، فقد بيَّن ابن تيمية كفر مقالات الفلاسفة وبعض المتكلمين، وكذا طوائف الغلاة من الجهمية والباطنية. يقول - رحمه الله - في حق الفخر الرازي: «من العجب أن يذكر -يقصد الرازي- عن أبي معشر ما يَذُمُّ به عبادة الأوثان، وهو الذي اتخذ أبا معشر أحد الأئمة الذين اقتدى بهم في الأمر بعبادة الأوثان، لما ارتدَّ عن دين الإسلام، وأمر بالإشراك بالله تعالى وعبادة الشمس والقمر والكواكب والأوثان، في كتابه الذي سماه (السر المكتوم في السحر ومخاطبة النجوم...)، وقد ذكر فيه عن أبي معشر أنه عَبَدَ القمر، وأن في عبادته ومناجاته من الأسرار والفوائد ما ذكر، **فمن تكون هذه حاله في الشرك وعبادة الأوثان، كيف يصلح أن يذم أهل التوحيد الذين يعبدون الله تعالى لا يشركون به شيئاً**، ولم يعبدوا لا شمساً ولا قمراً ولا كوكباً ولا وثناً؟ بل يرون الجهاد لهؤلاء المشركين الذين ارتد إليهم أبو معشر والرازي وغيرهما مدةً، وإن كانوا رَجَعوا عن هذه الردة إلى الإسلام، فإن سرائرهم عند الله، لكن لا نزاع بين المسلمين أن الأمر بالشرك كفر ورِدَّة، إذا كان من مسلم، **وأن مدحه والثناء عليه والترغيب فيه: كفر ورِدَّة، إذا كان من مسلم**»[1]، وقال في حق الفارابي وابن سينا:

(١) ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم، **بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية**، وزارة الشؤون الإسلامية، مجمّع الملك فهد لطباعة المصحف=

«ومن دخل في أهل الملل منهم كالمنتسبين إلى الإسلام كالفارابي وابن سينا ونحوهما **من ملاحدة المسلمين**»[١]. وقال ابن القيم في حق ابن سينا والنصير الطوسي: «ومن أثبتَ منهم وجودَ الربِّ جعله لازماً لذاته أزلاً وأبداً غيَر مخلوقٍ، **كما هو قول ابن سينا والنصير الطوسي وأتباعهما من الملاحدة الجاحدين** لما اتفقتْ عليه الرسلُ عليهم السلام، والكتبُ، وشهدتْ به العقولُ والفِطرُ»[٢]. فما هو جواب ابن داود عن هذه النصوص وغيرها ؟ ليتبيَّن من هو المباين حقّاً لابن تيمية وابن القيم.

أمَّا الشيخ محمد بن عبدالوهاب، فسبق الكلام على مسألة تكفير المعيَّن عنده[٣]، وبيَّنت منهج الشيخ محمد في ذلك. وأنَّ الشيخ - رحمه الله - لم يكفِّر أحداً بعينه، مع كثرة رسائله ونصائحه واستنكاره على أفرادٍ وجماعاتٍ، إلا ما ورد في حق بضعة رجالٍ، ومنهم المويس وابن سحيم فيما صرّح به في رسائله مع كثرة من يخالفهم الشيخ، وقد قرن ذلك الحكم بالحجة القائمة عليهم ما

=الشريف، المدينة النبوية، ١٤٢٦هـ٣/٥٣-٥٤.

(١) ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم، **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية**، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٠٦هـ، ٣/٢٨٧.

(٢) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، **اجتماع الجيوش الإسلامية**، تحقيق: عواد المعتق، مكتبة الفرزدق، الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ، ٢/٩٥.

(٣) ينظر المسألة الخامسة من المطلب الأول.

داموا مُقرِّين بذلك عالمين بالدليل، والشيخ أعلم بحالهم فهو المناظر لهم بالرسائل كتابةً ومشافهةً، وهو الذي يَعْذُر بالجهل، ونصَّ على أنَّه لا يكفر أولئك الجهال الذين يعظمون القبور بسبب جهلهم.

المثال الثالث: مفهوم الشرك

تناول ابن داود بعض صور الشرك الأكبر ونسبها إلى ابن تيمية وابن القيم على أنها من صور الشرك الأصغر ليقدح في الشيخ محمد، كونه خالفهما في ذلك وعدَّها من صور الشرك الأكبر، ومن أمثلة ذلك:

قال ابن داود (ل٦٣ب): «**وقال ابن القيم أيضاً في إغاثة اللهفان، ومن أنواع الشرك الأصغر النذر لغير الله، فإنه شرك كالحلف بغير الله، لما في السنن من حديث عقبة بن عامر عن النبي ﷺ: النذر حلفة، ويأتي في شرح رسالته، ومن العجب [أنّ] ابن عبدالوهاب يجعل التوبة إلى الشيخ من أعظم المكفرات**».

وهذا الكلام لابن القيم هو في مدارج السالكين وليس في إغاثة اللهفان، ونصُّهُ: «ومن أنواعه: النذر لغير الله، فإنه شرك، وهو أعظم من الحلف بغير الله، فإذا كان من حلف بغير الله فقد أشرك؛ فكيف بمن نذر لغير الله؟ مع أن في السنن من حديث عقبة

بن عامر عنه ﷺ: النَّذْرُ حِلْفَة»[١]. وابن داود زاد من عنده (الأصغر)، وليس هو في كلام ابن القيم، وابن القيم يتكلم عن أنواع الشرك عموماً الأكبر والأصغر. ثم إنَّ ابن القيم يقول هو أعظم من الحلف بغير الله - أي أنه أكبر -، وابن داود يقول هو كالحلف بغير الله.

وقد ذكر قبل هذا كلاماً مختصراً عدَّ فيه طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم والتوجه إليهم والخوف من غير الله أنها من الشرك الأصغر، ونسب هذا الكلام لابن القيم. وكلام ابن القيم في التوبة للشيخ لم يذكره ابن داود ونصُّه: «ومن أنواعه التوبة للشيخ، فإنها شرك عظيم، فإن التوبة لا تكون إلا لله، كالصلاة، والصيام، والحج، والنسك، فهي خالص حق الله»[٢]، والشرك العظيم هو الشرك الأكبر، لهذا شبَّهه ابن القيم بالصلاة والحج وخالص حق الله، فكيف فهم ابن داود - مع هذه الأوصاف كلها - أنه شرك أصغر؟!

وسواء أكان التحريف هذا متعمداً من ابن داود أو نقله عن غيره من شيوخه[٣]، فلا حظَّ فيه لابن داود من أن يجعل ابن القيم

---

(١) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، تحقيق: عامر ياسين، دار بن خزيمة، الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ، ٤٢٤/١.

(٢) المصدر السابق ٤٢٣/١.

(٣) من المعلوم أن عبدالله بن داود استفاد في كتابه هذا من ردِّ القباني على الشيخ محمد بن عبدالوهاب، كما سبق ذكره في وصف الكتاب وذكره الحداد في مصباح الأنام.

مبايناً لابن عبدالوهاب.

وفي هذا الموضوع (مفهوم الشرك الأكبر) قرَّر ابن داود حكماً جائراً في حق ابن تيمية وابن القيم، بناه على سوء فهمه كلام الشيخين، فقال في (ل١٨٩ب) وهو يتكلم عن مفهوم الشرك الأكبر: «**بل تقدَّم أنهما** - يعني ابن تيمية وابن القيم- **لا يكفِّران أحداً من أهل القبلة بالشرك العملي..**»، وهذا النص يُفيد أنَّ ابن داود كمن سبقه من مشايخه والمخالفين في توحيد العبادة لا يرون الكفر والشرك الأكبر يقعان في العمل، وإنما يرون الكفر والشرك المخرج من الملَّة هو في الاعتقاد فقط، وفي هذا إلغاء لكل النصوص التي دلَّت على الشرك والكفر العملي. والعجيب أنَّه بعد هذا قرَّر ابن داود في (ل١٩٧أ) ما يناقض كلامه السابق، فنقل عند قول صاحب الإقناع «أو جعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم ويدعوهم ويسألهم إجماعاً»[1] وكلام ابن فيروز أنَّ هذا الكلام مقصود به أناس من ملاحدة الصوفية الذين يجعلون الخالق كالمخلوق، وأن ابن عبدالوهاب وأتباعه لم يفهموا كلام صاحب الإقناع جيداً.

---

(١) الحجاوي، موسى بن أحمد، **الإقناع لطالب الانتفاع**، تحقيق: د.عبدالله التركي، دار هجر، مصر، ٢٨٥/٤.

القسم الرابع: ردُّ ابن داود على رسالة الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود

بعد أن أتمَّ عبدالله بن داود فصول مقدمة الكتاب، بدأ بذكر رسالة الإمام عبدالعزيز بن محمد - التي سبق الكلام عنها - وجعل يردُّ عليها جملةً جملةً ردّاً مفصلاً مطولاً.

ومعظم ردِّه على الرسالة تكرَّر فيما سبق من الفصول التي قدم بها الكتاب، التي كانت في حق الشيخ محمد بن عبدالوهاب ودعوته، من اتهامٍ بالتكفير، وطعن في الدين، وبُعدٍ عن فهم القرآن والسنَّة، وغيرها من ألفاظ التجهيل والتحقير والدخول في النيَّة.

ولم يتناول مناقشة نصوص الرسالة كثيراً، بل في كلِّ جملة يتناول الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأتباعه، والمسائل التي يخالفه فيها، ويُسهب ويبعد عن مضمون الجملة في الرسالة إلى مواضيع أخرى لا تلزم الرسالة ولا قائلها، ويُكثر من النقول التي لا نزاع فيها، ويُقرِّر مسائل لا خلاف عليها.

بدأ ابن داود الطعن في الرسالة عند قول الإمام عبدالعزيز بن محمد في رسالته: سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فذكر أنَّ الإمام عبدالعزيز من جملة العوام الذين لا يُحسنون كتابة مثل هذه الرسائل، وادَّعى ابن داود أنَّ هذه الرسالة كتبها الشيخ محمد بن غريب[1]، وقد كرَّر هذا الادِّعاء أكثر من مرة.

---

(١) هو الشيخ محمد بن علي بن غريب، من تلامذة الشيخ محمد بن=

ولمَّا ذكر الإمام عبدالعزيز في بداية رسالته الاستدلال على عبادة الله وحده واستشهد بالآيات، قال ابن داود (ل٧١ب): «**أقول هذا حق ولكن يُشَمُّ منه رائحة الإلحاد، وقول صدق لكن تريد به الفساد**»، وهو المنهج الذي لم تنفك عنه صفحات كتاب ابن داود في تأويل كلمة الحق إلى الدخول في النية، وبتر الكلام، والزيادة والنقص، وما إلى ذلك، إلى أن قال: «**ومفهوم كلامك أن التوحيد إفراد الرب بجميع أنواع العبادة لا غير، والصحيح أنَّ هذا قسم من أقسام التوحيد، فتنبه أيها المارق العنيد**»، وهل خلاف الشيخ محمد بن عبدالوهاب مع مخالفيه إلا في هذا النوع من التوحيد؟.

وقد أسهب في مواضيع متعددة لا خلاف فيها، ونَقَلَ نقولات طويلة عن الأئمة؛ ينقلها بالصفحات في طريقة ليست محقِّقةً لما يريد أن يصل إليه في الخلاف العلمي بينه وبين دعوة الشيخ محمد، ومنها تفسيره معنى العبودية وقول الله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، حيث أطال فيها، ونقل نقولات لم يحرّر فيها جوهر

=عبدالوهاب، وزوج ابنته، ومن المدافعين عن دعوته، وقد أجاب عن أسئلة الشيخ عبدالله أفندي الراوي البغدادي، خطيب جامع سليمان باشا في بغداد، التي أرسلها إلى الدرعية يتحدَّى بها العلماء ليُجيبوا عنها، فتصدَّى له ابن غريب وأجاب عنها بالكتاب المشهور «التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق»، وذكر البسَّام في (علماء نجد) أنه قُتل سنة ١٢٠٩هـ ينظر: **علماء نجد**، ٣١٢/٦-٣١٥.

الخلاف بينه وبين الشيخ محمد، بل أقرَّ ما يُقرُّه الشيخ محمد، وكذا الإمام عبدالعزيز بن محمد في معنى الألوهية الذي هو إفراد الله بالعبادة. وكذلك إسهابه وتطويله في مسألة التقليد والاجتهاد عند كلمة للإمام عبدالعزيز في رسالته: «لما علمنا وفهمنا من كلام الله وكلام رسوله ﷺ»، وكذا في طريقة فهم تفسير القرآن، مع عدم سلامته من فُحش القول وإطلاق الإفك ورمي التهم على الشيخ ودعوته. ففي كلامه عن ضرورة فهم القرآن من كلام العلماء المعتبرين في التفسير وأهل اللغة - وهو كلام لا خلاف عليه- يأتي بعد ذلك ويقول (ل٧٩ب): «**فإن قيل هل يعتمد هؤلاء الأخابث على شيء من التفاسير؟ قلت: لا، إلا أنهم لا يخطّون تفسير ابن كثير ولا يعتمدون عليه، ولا على غيره، بل على الرأي المجرد** ...»، والعجيب أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب مع عنايته الواضحة في رسائله وكتبه بآراء المفسرين وترجيحه بينها في تفسير القرآن، اختصر تفسير ابن كثير خاصةً من بين التفاسير[1]. وهذا مثال على ما ذكرته من أنَّ ابن داود يبتعد بالمناقشة عن موضوعها حتى يختمها بفرية وإفك، والله المستعان.

ولا يخلو هذا الإسهاب والتطويل من إسقاطٍ وإسفاف حتى في مناط التكليف في حق الشيخ أو الإمام، مثل ما ذكر عند حديث

(١) **محمد بن عبدالله آل عبدالقادر، تحفة المستفيد، ٢٢٣/١**، ينظر كتاب: منهج الشيخ محمد بن عبدالوهاب في التفسير، د.مسعد الحسيني، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط١.

«وما زال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبّه ..»، ولم يوضِّح الخطأ الذي وقع فيه الشيخ أو الإمام أو يردَّ عليه، وإنما اكتفى بقوله (ل٩٣ب): «**فتضمن هذا الحديث الإلهي الذي حرام على الجاهل غليظ الطبع كثيف القلب؛ سيَّما إن كان مبتدعاً مثل عبدالعزيز بن سعود وأعوانه فهم معناه**».

ومن الحشو الذي ملأَ به ابن داود مؤلَّفه ليستكثر بالرد على الشيخ محمد ودعوته، لما ذكر الإمام عبدالعزيز في رسالته (أقوال الأئمة والعلماء)، حيث أخذ ينال من الشيخ محمد بن عبدالوهاب من أنَّه يطعن على الإمام أبي حنيفة، وأنَّ الإمام عبدالعزيز مثله يطعن فيه وفي غيره من الأئمة لكنّه يُخفي ذلك الطعن، ثم بدأ ينقل نصوصاً في تعظيم أبي حنيفة والرد على من يطعن عليه، ويُشنِّعُ على دعوة الشيخ محمد بأنها لا تحترم الأئمة والعلماء، وأنَّها تتهم الأئمة والعلماء بأنهم ما عرفوا معنى لا إله إلا الله، إلى غير ذلك من التُّهم.

جاء في رسالة بعثها الشيخ محمد والإمام عبدالعزيز إلى أحد علماء اليمن، وفيها ردٌّ على افتراء ابن داود ومن نقل عنه، ونصُّها:

«من عبدالعزيز بن محمد بن سعود، ومحمد بن عبدالوهاب إلى الأخ في الله: أحمد بن محمد العديلي البكبلي[1] سلَّمه الله

---

(١) هكذا ورد في الدرر، وكتب المحقق في الحاشية: لعله البهكلي. وإن كان هو: فهو أحمد بن محمد البهكلي، وهو من العلماء، توفي سنة ١٢٢٧هـ، ترجم=

من جميع الآفات، واستعمله بالباقيات الصالحات، وحفظه من جميع البليات، وضاعف له الحسنات، ومحا عنه السيئات، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أما بعد: لفانا كتابكم، وسُرَّ الخاطر بما ذكرتم فيه من سؤالكم، وما بلغنا على البعد من أخباركم، وسؤالكم عما نحن عليه، وما دعونا الناس إليه، فأردنا أن نكشف عنكم الشبهة بالتفصيل، ونوضح لكم القول الراجح بالدليل.... **وأما ما ذكرتم من حقيقة الاجتهاد، فنحن مقلدون الكتاب والسنة، وصالح سلف الأمة، وما عليه الاعتماد من أقوال الأئمة الأربعة: أبي حنيفة النعمان بن ثابت، ومالك بن أنس، ومحمد بن إدريس، وأحمد بن حنبل، رحمهم الله تعالى»**[1].

وأمَّا ما ورد عن الشيخ محمد من بيان بعض المسائل المخالفة لاعتقاد السلف ونسبتها لأبي حنيفة، فإنَّ الشيخ يحكيها لأنها نُسبت لأبي حنيفة ممن كان في عصره أو بعده، وليس الشيخ في ذلك إلا ناقلاً. والكلام في أبي حنيفة - رحمه الله - لم يكن وليد زمن الشيخ محمد بن عبدالوهاب، بل كان منذ زمن الإمامين الشافعي وأحمد[2]. فابن داود إمَّا جاهل فيما تكلم به المتقدمون من

=له الشوكاني في البدر الطالع. ينظر: الشوكاني، محمد بن علي، **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع**، دار المعرفة، بيروت، ٣٢٤/١.

(١) **الدرر السنية**، ٩٤/١-٩٧.

(٢) وقد عقد عبدالله ابن الإمام أحمد فصلاً في كتاب **السنَّة** (١٨٠/١) ما ورد عن=

الأئمة في أبي حنيفة أو أنَّه مفترٍ على الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

ومن النصوص الجليلة التي تردُّ على ابن داود في اتهامه الشيخ محمداً بالتقليل من اتِّباع الفقهاء والأئمة من قبله، وفيها رفع لإشكال مخالفة إمامٍ باتباعِ إمامٍ آخر؛ ما جاء في رسالته إلى عبدالله بن محمد الأحسائي[1] التي تُخبر عمَّا فيها: «وأيضاً: أنا في مخالفتي هذا العالم لم أخالفه وحدي، فإذا اختلفت أنا والشافعي مثلاً في أبوال مأكول اللحم وقلت القول بنجاسته يخالف حديث العرنيين، ويخالف حديث أنس أن النبي ﷺ صلَّى في مرابض الغنم، فقال هذا الجاهل الظالم: أنت أعلم بالحديث من الشافعي؟ قلت: أنا لم أخالف الشافعي من غير إمام اتبعته، بل اتبعت من هو مثل الشافعي، أو أعلم منه قد خالفه، واستدل بالأحاديث. فإذا قال أنت أعلم من الشافعي قلت: أنت أعلم من مالك وأحمد؟، فقد عارضته بمثل ما عارضني به، وسلم الدليل من المعارض واتبعت قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ

=أبيه وغيره في أبي حنيفة.

(١) هو عبدالله بن محمد بن عبداللطيف بن محمد بن ناصر الأحسائي الشافعي، لُقِّبَ بالشافعي الصغير عند علماء الأحساء، وروى عن المحدث عبدالله بن سالم البصري، تولى القضاء والإفتاء في الأحساء، وأخذ عنه العلمَ الشيخ محمد بن عبدالوهاب. له شرح على صحيح البخاري، ت١١٨١هـ. ينظر: العصفور، عبدالعزيز بن أحمد، **فتاوى علماء الأحساء ومسائلهم**، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ ٤٩٩/٢.

﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [النساء:٩٥]، واتبعت من اتَّبع الدليل في هذه المسألة من أهل العلم، لم أستدل بالقرآن أو الحديث وحدي حتى يتوجه عليَّ ما قيل، وهذا على التنزُّل، وإلا فمعلوم أنَّ اتِّباعكم لابن حجر في الحقيقة، ولا تعبؤون بمن خالفه من رسول أو صاحب أو تابع، حتى الشافعي نفسه لا تعبؤون بكلامه إذا خالف نص ابن حجر، وكذلك غيركم: إنما اتباعهم لبعض المتأخرين لا للأئمة»[1].

يظهر من ابن داود في ردِّه على رسالة الإمام عبدالعزيز أنَّه مؤيِّدٌ للصوفية، إن لم يكن منهم، بل ومؤيِّدٌ لبعض خرافاتهم كالخرقة ونحوها. ففي ردِّه على ما جاء في رسالة الإمام من استنكاره بعض ما يفعله من يدَّعي الولاية من إطالة السبحة وتقبيل اليد وسعة الإزار والكمّ، قال ابن داود (ل١١٩أ): «**هذا المغرور يسخر بالسادة الصوفية، ولبسهم الخرقة المعروفة عندهم، ويعيبهم بما هو أولى به**»، وهذه المخالفات في السبحة والخرقة أمرها أهون من المخالفة في مسألة الاستغاثة بالأموات ودعائهم من دون الله ونحوها من المسائل الكبيرة التي تقدح في أصل التوحيد، لكن دفاع ابن داود عن الصوفية، وقبل ذلك حكايته قول المتكلمين في تعريف التوحيد، وخلطه - فيما زعم - أنَّ ابن تيمية وابن القيم يخالفانِ ابن عبدالوهاب فيما قرَّره من مسائل لَدليلٌ على أنَّ ابن داود ليس محقِّقاً ولا محرِّراً في المسائل التي يُناقش فيها.

---

(١) الدرر السنية، ١/٤٤.

وممَّا يُتوقَّف عنده في ردِّه على رسالة الإمام قول ابن داود في حق الإمام عبدالعزيز (ل١٢٤أ): «**فأول ما دعوتَ إليه إعدام العلماء، حتى إن الآن لم يبق فيها عالم ولا متعلِّم حتى إنهم يحكمون بغير ما أنزل الله، وتأمر نوَّابك بأن يحكموا بما يُصلح أمرك**». هكذا يقول متوهماً متخيلاً، ولو كان الأمر كذلك، فلماذا لم يقتل الإمام عبدالعزيز شيخَ ابن داود وعدوَّ الدعوة اللدود محمد بن فيروز؟ حيث اكتفى بأمر براك بن عبدالمحسن - واليه على الأحساء - لما دخلتِ الأحساء في حكمه أن يُخرج ابن فيروز منها لأنَّه ما زال يُعارض الدعوة ويُثير الشبهات حولها[1]. ولو كان غيره لما تأخّر في قتله، وابن فيروز لم يتردد في مكاتبة والي بغداد وشيخ المنتفق ثويني في حثهم وتحريضهم على تسيير الجيوش لقتال أهل نجد لخضوعها للإمام عبدالعزيز، فأين هذا من ذاك عند ابن داود؟!.

ويحتار العقل أحياناً في بعضِ فهمِ ابن داود بعض كلام الإمام في رسالته، من ذلك قول الإمام في رسالته: «والإرادة الدينية أصل في إيجاد المخلوق، والإرادة الكونية أصل فيمن كُتبت عليه الشقاوة، فلا يُيسر إلا لها، ولا يُعمل إلا بها» قال ابن داود بعد أن نقل كلاماً طويلاً لبعض أهل العلم (ل١٣٢ب): «**وهذا مما يدل على بطلان أمر ابن عبدالوهاب؛ لأن الانقلاب عنهم كثير جدّاً،**

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ٢٠٦/١، ٢١٨.

والانقلاب إليهم نادرٌ إلا من قهروه»، وقال إنَّ الإمام عبدالعزيز: **«يدّعي أن المخلوق للجنة والرحمة هو ومن تبعه، ومن عداهم من نحو سبعمائة عام مخلوق للنار»!!**

إن العقل يحتار من هذا الفهم العقيم، حيث لا صلة بين لفظ الإمام وبين ما فهم ابن داود، ويحتار أيضاً من ابن داود حين يُحمِّل أفعال بعض الرجال المعيَّنين من قبل الإمام عبدالعزيز من رؤساء العشائر ورجال البادية الذين قلدهم الإمام بعض المناصب؛ يُحمِّل الشيخ محمد بن عبدالوهاب ومنهج دعوته ما يفعلون وما يقولون، ويقرن بين أفعالهم على أنها من فكر الشيخ محمد ورأيه ورأي أتباعه! وقد ذكر قصَّةً عجيبةً في (ل١٤٤أ) عن رجل من البادية وذكر اسمه، وأنَّه من أتباع الشيخ محمد؛ أنَّ هذا الرجل استنكر التذكير بالصلاة على النبي ﷺ على المنابر، وعدَّه بدعةً. ورأي الشيخ محمد بن عبدالوهاب في هذا واضح ولا لبس فيه.

الخاتمة

بيَّنت هذه الدراسة لكتاب الصواعق والرعود في الرد على ابن سعود لمؤلفه عبدالله بن داود الزبيري قيمة هذا الكتاب الذي احتفى به خصوم دعوة الشيخ محمد، وهي دراسة نقدية عامَّة لمنهج المؤلف ومناقشته المسائل الكبرى التي يختلف فيها مع دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وفيها بيان لمنهج المؤلف تجاه الدعوة الإصلاحية، حيث امتلأ غيظاً عليها وأطلق عليها سيلاً جارفاً من الاتهامات والمجازفات، وهذا واضحٌ في تسميته الكتاب؛ حيث جعله صواعق ورعوداً على ما جاء به الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود في رسالته التي يُقرِّرُ فيها ما قرَّره الشيخ محمد بن عبدالوهاب من مسائل في توحيد العبادة.

وقد اكتفيت بالإشارة إلى الافتراءات التي ملأت الكتاب كي يطَّلع القارئ على شيءٍ منها.

وقد بيَّنتُ في هذه الدراسة ما قرَّره الشيخ محمد بن عبدالوهاب في المسائل الكبرى لتوحيد العبادة ومنها مفهوم الشرك، والشرك في الشفاعة، ومسألة تكفير المعيَّن، وموقف شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم من هذه المسائل. ولم أدخل في تفاصيل كثيرٍ من المسائل التي أطال بها المؤلف كتابه؛ وذلك لعدم جدوى دراستها مع المسائل الكبرى، ولأنَّ كتاب الصواعق كتاب

كبير جدّاً، والجواب عن كل ما أورده يحتاج إلى إطالةٍ لا يسعها إلا المجلدات الكبيرة.

ورغم أن ابن داود أطال النفس، وكرر الكلام في بعض المسائل، وأسهب في النقولات الطويلة فيما يخص المسائل التي ناقشها وما لا يخصها، إلا أنَّه اعتَقَدَ - فيما يظهر - أنه أوقع الإشكال على المسائل العلمية التي قررها الشيخ محمد وعلماء الدعوة الإصلاحية، وظنَّ أنَّه رفع الإشكال عن الشبهات التي يُردِّدها خصوم الشيخ.

وحاولتُ جاهداً أن أدفع التُّهم التي اختلقها ابن داود أو اختُلقتْ له عن دعوة الشيخ الإصلاحية، إلا أنَّ كثيراً من التُّهم لا يمكن لسليم الفطرة أن يحكيها، فضلاً عن أن ينسبها أحدٌ إلى رجل كالشيخ محمد بن عبدالوهاب أو أحدٍ من علماء نجد.

وبعد دراسة هذا الكتاب، توصلت إلى النتائج الآتية:

أولاً: أن كتاب ابن داود كتابٌ ضعيفٌ علميّاً، لا سيما في أبواب التوحيد، ووجه ضعفه هو: أن فهم ابن داود مسائل التوحيد وصرف العبادة وضوابط الشفاعة فهم ضعيف، وكذلك كثرة نقولات المسائل دون تحرير، خصوصاً ما ينقله عن ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله، وتكراره المسائل في مواضع كثيرةٍ من الكتاب، وترديده الشُّبه نفسها دون فائدة تُذكر.

ثانياً: أن الكتاب فيه تجنٍّ وكذب على الشيخ محمد وأئمة

الدعوة، بل وصل الأمر إلى الألفاظ المقذعة والطعن في الدين والذمّة والدخول في النيات وغيرها من الأشياء التي لا يقبلها المنهج العلمي أو التقرير القائم على الدليل والبرهان. وفيه الجزم بأشياء لا صلة لها علميّاً بما يدَّعيه من نتائج، ومنها زعمه مخالفة ابن تيمية وابن القيم لما يُقرّره الشيخ محمد في مفهوم التوحيد ومسائل العبادة.

ثالثاً: حشوه بالأحداث التاريخية والقصص المكذوبة التي لا تزيد الكتاب قيمةً، ولا ترفع من شأنه، إذ هي بذاتها محل للرد والنقض.

رابعاً: أن ابن داود شخصية مضطربة غير رزينة من خلال هذا الكتاب وما يُقرِّره.

وأخيراً: ليعلم القارئ الكريم أنَّ هذه الدراسة ليست لباس عصمةٍ نُلبسه الشيخ محمد بن عبدالوهاب أو العلماء من الدعوة الإصلاحية، أو أنَّها تبرئةٌ وتقديس لكل عمل نُسبَ للشيخ محمد أو أحدٍ من علماء نجد وأئمة الدولة السعودية الأولى، وإنَّما هي بيان عامٌّ للمسائل التي وقع الخلاف فيها بين دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وخصومها، والإجابة عمَّا أوردوه وأثاروه.

وحسبُ القارئ أن يرى ثمرات هذه الدعوة في الناس منذ الدولة السعودية الأولى إلى يومنا هذا، وما عليه عمل الناس في توحيد العبادة، على الرغم مما أصاب هذه الدعوة المباركة من

حملات عسكرية ضخمة أهلكت الحرث والنسل، وفعلت في البلاد والعباد ما لم يخطر على بال ابن داود ولا شيخه ابن فيروز لو أدركوها، وما واجهته وتواجهه إلى اليوم من حملات تشويه باللسان والقلم. ولكن الله تعالى شاء أن تبقى هذه الدعوة كما بقيت قبلها الدعوات التجديدية لهدي نبينا محمد ﷺ وصحابته الكرام وسلف الأمة الصالحين.

وكما قال الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام - رحمه الله - عن كتاب ابن داود: «وقد صنَّف في الرد عليها كتاباً سماه: (الصواعق والرعود في الرد على ابن سعود)، إلاَّ أنَّ الله تعالى أبقى هذه الدعوة الطيبة في نمو وتقدم وتوسع في المشارق والمغارب، وذهبت رُعُودُه وبروقه خُلَّباً، فالحمد لله على المعتقد الحسن»[1].

واللهَ تعالى أسأل أن يغفر للشيخ محمد بن عبدالوهاب وعلماء الدعوة الإصلاحية والأئمة من آل سعود، وأن يغفر للمؤلف عبدالله بن داود الزلل والخطأ، وأن يُدخل الجميع في واسع رحمته، وكريم عفوه، وجميل فضله، إنه واسع الفضل والرحمة والمغفرة.

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) البسام، علماء نجد، ١١٤/٤.

قائمة المراجع

المخطوطات:

١- **الصواعق والرعود في الرد على ابن سعود**، تأليف عبدالله بن داود، مخطوطات مكتبة خدابخش بتنة، رقم ٢٣٨.

٢- **رسالة في الرد على رسالة الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود**، تأليف محمد بن محمد القادري، مخطوطات جامعة الملك سعود، رقم ٦٨٠٣ ف ١٧٨٠/ ١.

المطبوعات:

٣- **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، تأليف أحمد بن أبي الضياف، وزارة الثقافة، تونس، ١٩٩٩م.

٤- **الآثار المخطوطة لعلماء نجد**، تأليف خالد المانع، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.

٥- **اجتماع الجيوش الإسلامية**، تأليف محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق عواد المعتق، مكتبة الفرزدق، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

٦- **الاستغاثة في الرد على البكري**، تأليف أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تحقيق د.عبدالله السهلي، مكتبة ودار المنهاج، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ.

٧- **الأعلام**، تأليف خير الدين بن محمود الزركلي، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشرة، ٢٠٠٢م.

٨- **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع**، تأليف محمد بن علي الشوكاني، دار المعرفة، بيروت.

٩- **بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية**، تأليف أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، وزارة الشؤون الإسلامية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، ١٤٢٦هـ.

١٠- **تاريخ المملكة العربية السعودية**، تأليف د.عبدالله العثيمين، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

١١- **تاريخ نجد**، تأليف حسين بن غنام، تحقيق د. ناصر الدين الأسد، دار الشروق، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٤م.

١٢- **تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد**، تأليف محمد بن عبدالله آل عبدالقادر، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

١٣- **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، تأليف يوسف بن عبدالله بن عبدالبر، تحقيق مصطفى العلوي ومحمد البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧هـ.

١٤- **جامع الشروح والحواشي**، تأليف عبدالله بن محمد الحبشي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٤م.

١٥- **الحركة العلمية بين نجد والزبير خلال ثلاثة قرون**، تأليف سعود الربيعة، الدار العربية للموسوعات، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١١م.

١٦- **حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر**، تأليف عبدالرزاق البيطار، تحقيق بهجة البيطار، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٣م.

١٧- **الدرر السنية في الأجوبة النجدية**، جمع عبدالرحمن بن قاسم، الطبعة السادسة ١٤١٧هـ.

١٨- **دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب**، تأليف د.عبدالعزيز العبداللطيف، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثانية ٢٠٠٨م.

١٩- **الرسائل الشخصية للشيخ محمد بن عبدالوهاب**، بحوث أسبوع الشيخ، مركز البحوث بجامعة الإمام، ١٤٠٣هـ.

٢٠- **الرسالة الدينية في معنى الإلهية**، تأليف الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود، تحقيق عبدالله بن مسلّم، دار التوحيد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.

٢١- **سبائك العسجد في أخبار أحمد نجل رزق الأسعد**، تأليف عثمان بن سند البصري، مطبعة البيان، بومباي، ١٣١٥هـ.

٢٢- **السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة**، تأليف محمد بن عبدالله بن حميد، تحقيق د.عبدالرحمن العثيمين و د.بكر أبو زيد، الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

٢٣- **سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر**، تأليف محمد خليل الحسيني، دار البشائر الإسلامية، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ.

٢٤- **شرح صحيح البخاري**، تأليف علي بن خلف بن بطَّال، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ.

٢٥- **علماء نجد خلال ثمانية قرون**، تأليف عبدالله بن عبدالرحمن البسام، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ.

٢٦- **عنوان المجد في تاريخ نجد**، تأليف عثمان بن عبدالله بن بشر، تحقيق عبدالرحمن آل الشيخ، دارة الملك عبدالعزيز، الطبعة الرابعة، ١٩٨٢م.

٢٧- **فتاوى علماء الأحساء ومسائلهم**، تأليف عبدالعزيز بن أحمد العصفور، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ

٢٨- **قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة**، تأليف أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، تحقيق د.ربيع المدخلي، مكتبة الفرقان، عجمان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٢٩- **محمد بن عبدالوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه**، تأليف مسعود عالم الندوي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ.

٣٠- **المخطوطات النجدية في الخزانة الشاويشية**، تأليف راشد العساكر، دار درر التاج، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ.

٣١- **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، تأليف محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق عامر ياسين، دار ابن خزيمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

٣٢- **مشكاة المصابيح**، تأليف محمد بن عبدالله التبريزي، تحقيق

محمد بن ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥م.

٣٣- **مصباح الأنام وجلاء الظلام في ردِّ شُبه البدعي النجدي التي أضلَّ بها العوام**، تأليف علوي أحمد الحداد، المطبعة العامرة، مصر، ١٣٢٥هـ.

٣٤- **مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام ونسبه إلى تكفير أهل الإيمان والإسلام**، تأليف الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ، تحقيق عبدالعزيز الزير آل حمد، وزارة الشؤون الإسلامية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

٣٥- **المصنّف**، تأليف عبدالله بن محمد بن أبي شيبة، تحقيق كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

٣٦- **من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة**، تأليف عبدالله العقيل، دار البشر، الطبعة السابعة، ١٤٢٩هـ.

٣٧- **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية**، تأليف أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٠٦هـ.

٣٨- **منهج الشيخ محمد بن عبدالوهاب في التفسير**، د.مسعد الحسيني، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة الأولى.

٣٩- **نيل المآرب في تهذيب شرح عمدة الطالب**، تأليف عبدالله البسام، دار الميمان، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ.

الكشاف العام

(أ - ث)

إبراهيم بن غملاس ١٦.

إبراهيم محمد علي باشا ٧٢.

الأحساء ١٥، ٢٠، ٢٢، ٢٣، ٣٥، ٣٧، ٧٢، ٨٨.

أحمد بن حنبل (الإمام) ٨٥.

أحمد بن علي الملا القباني ٢٤، ٤٨.

أحمد بن محمد بن عبدالله التويجري ١٦، ٢٣.

أحمد بن محمد العديلي البكبلي ٨٤.

إسماعيل الجراعي ٥٠.

بتنة (مدينة هندية) ٢٦.

براك بن عبدالمحسن ٨٨.

البصرة ١٦، ١٧، ٣٥، ٣٧، ٧٠.

بغداد ٣٥، ٣٧، ٧١، ٨٨.

ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم ٢٨، ٤٧، ٥٦، ٧٣ - ٧٥، ٧٧، ٧٨، ٨٠، ٨٧، ٩١ -٩٣.

ثويني بن سعدون ٧١، ٧٢، ٨٨.

(ج - ش)

الحجاج بن يوسف ٦٨.

الحجاز ٢٠، ٦٧، ٦٨ .

حَرْمة (بلدة في إقليم سدير) ١٥، ١٦، ٢١.

حسن بن عمر الشطي ٣٤، ٣٥.

حسين بن غنام ٢٢

حلب ١٢، ٣٥، ٣٧.

ابن حميد، محمد بن عبدالله ٣٦، ٣٧.

أبوحنيفة النعمان بن ثابت (الإمام) ٨٥.

الدرعية ٧٢.

الرياض ٢١.

الزبير (بلدة) ١٥ - ١٨.
سدير ١٥، ١٦.
سليمان بن سحيم ٢١، ٢٢، ٤٢، ٤٨، ٤٩، ٧٧.
سليمان بن عبدالوهاب ١٧، ٢٢، ٦٧، ٧٠.
الشام ١٦، ٦١، ٦٧.

(ع - ق)

عبدالرحمن بن حسن ٦٧.
عبدالرحيم بن عبدالله السويدي العراقي ٥١.
عبدالعزيز بن محمد بن سعود (الإمام) ١١، ١٣، ٢٠، ٢٧، ٢٨، ٣٩، ٤١، ٤٣ - ٤٥، ٤٧، ٦٥، ٨١ - ٨٤، ٨٧ - ٨٩، ٩١.
عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن ٦٩.
عبدالله بن عبدالرحمن البسام ١٨، ٩٤.
عبدالله بن عيسى المويس ٢١، ٥٧، ٥٩ - ٦١، ٧٧.
عبدالله بن محمد الأحسائي ٨٦.
عبدالوهاب بن فيروز ١٩.
عثمان بن سند ١٦، ١٨.
عثمان بن منصور ٦٩.
العراق ١١، ٦٨ - ٧٠.
علوي أحمد الحداد ٣٥، ٦٧.
علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) ٥٥، ٦٨.
علي بن عبدالرحمن بن علي ٢٦.
العيينة ٢٣، ٤٨.
قطر ٤٠.
القطيف ٦٩.
ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر ٢٧، ٢٨، ٤٧، ٧٣، ٧٥، ٧٧ - ٨٠، ٨٧ - ٨٩، ٩١- ٩٣.

(م)

مالك بن أنس (الإمام) ٨٥.

المجمعة ١٦.

محمد بن أحمد بن عبداللطيف الأحسائي ٢٧، ٣٧، ٤١ - ٤٣.

محمد بن إدريس الشافعي (الإمام) ٨٥.

محمد بن سحيم ٣٦.

محمد بن الطيب الفاسي ٥٨.

محمد بن عبدالرحمن بن عفالق ٢٢، ٤٨، ٦٣، ٦٧.

محمد بن عبدالله بن حميد المكي ١٥.

محمد بن عبدالله بن فيروز الأحسائي ١٣، ١٥-١٧، ٢٣، ٢٧، ٣٧ - ٤١، ٤٣، ٥٣، ٧١، ٨٠، ٨٨، ٩٤.

محمد بن عبدالوهاب (الشيخ) ١٣، ١٤، ١٧، ٢٠، ٢٣، ٢٤، ٢٧، ٣٣، ٣٤، ٣٦ - ٥٦، ٥٨ - ٦٧، ٦٩ - ٧٠، ٧٣ - ٧٤، ٧٧، ٧٨، ٨٠ -٨٦، ٩١ -٩٤.

محمد بن علي بن سلوم الفرضي ١٧.

محمد بن عيدان ٥٦.

محمد بن غريب ٨١.

محمد بن غيهب ٥٦.

محمد بن محمد القادري ١٢، ٣٣.

مسعود عالم الندوي ٢٥، ٣٨.

مسيلمة الكذاب ٣٨، ٦٨، ٦٩، ٧٠.

مصر ١١، ٦٩، ٧٢.

مصعب بن الزبير ٦٨.

المغرب ١١.

ابن مفلح الحنبلي ٢٨، ٧٣.

المنتفق ٧١، ٨٨.

(ن - ي)

نجد ٢٠ - ٢٢، ٣٦، ٥٨، ٦٢،
٦٧ - ٦٩، ٧١، ٧٢، ٨٨،
٩٢، ٩٣.
النصير الطوسي ٧٧.
الهند ٢٦.
اليمامة ٦٧، ٦٩، ٧٠.
اليمن ٥٠، ٨٤.